

# الحركة النقابية العالمية قبل أثناء وبعد الحرب

الجزء الأول  
ترجمته إبراهيم العثاني



دار  
النشر والتوزيع



لوزفسكي

# الحركة النفايية العالمية قبل أثناء وبعد الحرب

لوزفسكى

الناشر : صامد للنشر والتوزيع  
72، نهج القيروان — 3000 صفاقس — تونس  
الهاتف : 26.447(04)

الطبعة الأولى في 3000 نسخة  
ISBN 9973 — 729 — 07 — 02

## تقديم

لقد بات الرجوع الى التراث النقابي الأُمِّي ضرورة ملحة ومهمة مطروحة على عاتق النقابيين لأن ترجمة هذا التراث واستخلاص الدروس منه والاسترشاد بقوانينه العامة أمر لا يمكن أن نستغني عنه بأي حال من الأحوال وقد أثبتت التجربة دوماً أن الممارسة تبقى متعثرة إن لم تُثَرِّها النظرية والنظرية تتحجر إن لم تطعم بدروس الممارسة، والفكر الاشتراكي غني في الميدان النقابي شأنه شأن كل الموضوعات الأخرى وإذا كانت كتابات لينين حول النقابة ودورها ومهامها ثمينة فعلينا ألا نغفط دور لوزوفسكي وتنظيراته القيمة وتحاليله العميقة في هذا الميدان اثر توليه قيادة المنظمة النقابية الشهيرة «الأُمِّية النقابية الحمراء» وقد سجل كل ذلك في كتب سنأتي على ذكر بعضها، والواقع اليوم يفرض علينا العودة لهذه الكتابات وتقديمها للقارئ العربي بصفة عامة وجمهور النقابيين بصفة خاصة ليستلهم منها ما يجب استلهامه لأن تشعب الصراع الطبقي وازدياد المهام المطروحة على الطبقة العاملة يحتاج الى الرؤية الواضحة التي تمكن من التقدم بخطى ثابتة بغية تحقيق الأهداف التكتيكية والاستراتيجية، ولكن قبل تقديم محتويات المحاضرات الخمس التي ترجمت يجدر بنا أن نتوقف عند لوزوفسكي وحياته وأعماله.

## فمن هو لوزوفسكي؟ (1878 — 1952)

ولد ألكسندر لوزوفسكي (وهو الاسم المستعار لسلمون أبرموفيتش دريدزو (Salamon Abramovich Dridzo) يوم 16 مارس 1878 بدنيلفسكا (Danilovska) بمقاطعة أكتيرينسلاف (Ekaterinoslav) ومنذ سنة 1898 كانت له اتصالات بالحركة الاشتراكية الديمقراطية في بلده ثم بدأ يشارك فيها منذ سنة 1901 ومنذ ذلك التاريخ بدأ يعرف السجون والمعتقلات حتى تمكن من الفرار من سيبيريا في أوت 1908 الى جنيف ثم التحق بباريس، وقد كانت له نشاطات مكثفة داخل البلاد إلا أنه عرف بتردده في بعض المواقف وخاصة موقفه من ثورة أكتوبر مما سبب له الطرد من الحزب الشيوعي البلشفي (انظر موقف لينين من لوزوفسكي المجلد 42، ص 32 — 34 الطبعة الروسية 1977) في 12 جانفي 1918 وبدون الدخول في التفاصيل والتأكيد عليها فإننا نشير الى أن لوزوفسكي بدأ يقترب من الحزب حتى انضم إليه من جديد وترأس في سنة 1920 المجلس الجوهوي لنقابات موسكو وشرع في الأعمال التمهيدية لبعث الأمانة النقابية الحمراء التي أصبح أميناً عاماً لها وقد انتخب في سنة 1927 عضواً نائباً باللجنة المركزية في المؤتمر الخامس عشر الى أن أصبح في المؤتمر الثامن عشر المنعقد في سنة 1939 عضواً باللجنة المركزية.

ولما تولى رئاسة الأمانة النقابية الحمراء سنحت له الفرصة ليؤلف كتاباً نقابية هامة نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر :

- 1 — البرنامج العملي للأمانة النقابية الحمراء — موسكو 1 نوفمبر 1921.
- 2 — النقابات في الاتحاد السوفياتي (النقابات والناب NEP) موسكو — مارس 1922.
- 3 — الاضراب معركة.

4 — الحركة النقابية العالمية قبل الحرب وأثناءها وبعدها (محاضرة 1926) ونقدم هذه المرة المحاضرات الخمس في انتظار تقديم الست الأخرى في مناسبة لاحقة، والمحاضرات التي بين يدي القارئ تقدم نظرة اجمالية عن توزيع

الحركة النقابية واعدادها وأهم اتجاهاتها ثم تتطرق الى أهم المنظمات النقابية العالمية وتأثير الحرب في الحركة النقابية وتعرض باطناب الى أهمية أمستردام ومؤتمراتها وتكتيكاتها. هذه بإيجاز الخطوط العريضة لهذه المحاضرات.

ويجدر بنا أن نشير في خاتمة هذا التقديم الموجز الى الصعوبات الجمّة التي تعترض ناقل هذه المحاضرات من اللغة الفرنسية الى العربية ولعل ذلك يعود الى أنها منقولة بدورها من الروسية ونرجو من القارئ أن يتفهم ذلك عندما تعترضه بعض الهنات وهي موجودة فعلا عذرنا الوحيد في ذلك هو تقريب المعنى للقارئ على حساب بنية الجملة العربية أحيانا.

المترجم

# المحاضرة الأولى

## الحركة النقابية أثناء الحرب وقبلها

## جغرافية الحركة النقابية

علينا أن نقدم لمحة سريعة عن وضع الحركة النقابية قبل الحرب وأثناءها حتى يتسنى لنا فهم تطورها والسبل التي اتبعتها في مرحلة ما بعد الحرب.

يمكن أن تُنعت الحركة النقابية، قبل الحرب، بالسمة الآتية : فمن الناحية الجغرافية لم يكن لها بعد انتشار عالمي إذ اقتصرَت على أوروبا والبلدان الأنقلو سكسونية والولايات المتحدة والمستعمرات البريطانية (كندا، استراليا، جنوب افريقيا). فيما غابت عن الحركة الاشتراكية وعن الحركة النقابية العالمية آسيا كلها وكذلك افريقيا، هذا العالم ذو الأهمية الكبيرة من حيث عدد عماله الذي يتجاوز بكثير عدد الأمم المنعوتة بالتحضّر. وسبب هذا الغياب بسيط جدا وهو أن الحركة العمالية نفسها لم تبدأ في التبلور في هذه البلدان إلّا مع نهاية الحرب وخاصة في الفترة التي عقيتها.

هكذا ومن الناحية الجغرافية كنا أمام حركة نقابية ذات حدود اقليمية وتسميتها بحركة نقابية عالمية تحتاج إلى أمور كثيرة.

## احصاءات الحركة النقابية

كان يوجد عشية الحرب حوالي 16 مليون عامل منتظم في العالم كله، وتجدر الملاحظة أن هذا العدد يضم العمال الذين جمعتهم المنظمات النقابية على اختلاف اتجاهاتها وفوارق سياساتها بدءا بالفوضويين النقابيين وانتهاء عند النقابات



الكاتوليكية، والديمقراطية، والبروتستنتية وغيرها. وكانت غالبية العمال المنظمين توجد في أوروبا. ولو تناولنا أهم البلدان عشية الحرب لرسمنا الجدول الآتي : يقارب عدد العمال المنظمين في بريطانيا العظمى 4 ملايين، وحوالي 3،5 ملايين في ألمانيا، أما في الولايات المتحدة فهو مليونان و700 ألف، ويقرب من المليون في فرنسا، أما في إيطاليا فهو 900 ألف وبلجيكا 200 ألف وهولندا 260 ألف الخ... وستتوقف عند هذه الأرقام حتى نبين قيمتها الحقيقية ومحتواها. لنأخذ مثاليين، فقد سجلت فرنسا عشية الحرب مليون منخرط نقابي إلا أن الكنفدرالية العامة للشغل (س.ج.ت) التي قد تدعي التنظيم الطبقي لم تكن تضم أكثر من 500 ألف عامل، أما البقية فقد تجمعت في اتحادات عمال فلاحين كانت تماما على هامش الحركة العامة للنقابة وفي نقابات الموظفين التي كانت تتبنى موقفا مناهضا للكنفدرالية العامة للشغل وأخيرا في عدد من النقابات الصفراء الصغيرة، وبإيجاز فإن الاحصائية الرسمية كانت تُعدُّ نقابة كل منظمة تقع تحت طائلة قانون 1884 سلمت أو لم تسلم قانونها الأساسي. ومن الجلي أن هذه الأرقام لا تمكنا من رسم صورة حقيقية للحركة النقابية التي لن نستطيع تصورها إلا اذا عرفنا على حجمها فحسب ولكن أيضا على نوعيتها أي على تركيبة هذه المنظمات العمالية التي تعرضنا إليها واتجاهاتها السياسية.

نفس الشيء بالنسبة لألمانيا حيث نجد ثلاثة ملايين ونصف منخرط نقابي في حين لا تضم النقابات الاصلاحية إلا مليونين ونصفا وينطبق نفس التحليل على انجلترا، ولكن عوض أن نتحدث عن الأربعة ملايين الرسميين لا يمكن أن نتحدث بكل جدية إلا عن ثلاثة ملايين عامل قد لا يتبنون وجهة نظر الصراع الطبقي ولكنهم كانوا يقتربون منها بدرجة أو بأخرى.

عشرة ملايين عامل منظم، ماذا كان يمثل هذا الجيش الكبير العدد؟ إن عشرة ملايين عدد هام ويمكن أن ندرك ذلك من خلال معطيات الحرب الأخيرة، عشرة ملايين من الرجال المنظمين تنظيما محكما وقد توزعوا في أنحاء العالم وهم يعرفون ما يبتغون، كان يمكن أن يشكلوا قوة هائلة. ويمكن أن نقول دون المبالغة لو كان هؤلاء الملايين العشرة من العمال المنظمين روح ثورية وجوهر ثوري لما اندلعت الحرب العالمية وسترون فيما سيأتي أن هذا العدد المهول من العمال كان غير متجانس نسيا من الناحية النوعية.

## التكتلات داخل الحركة النقابية

لو اقترحنا على أنفسنا رسم الخطوط الرئيسية للحركة المهنية آنذاك لوجب علينا، قبل كل شيء، تقسيم النقابات الى صنفين : نقابات الصراع الطبقي والنقابات الأخرى. ونعني بنقابات الصراع الطبقي كل المنظمات الألمانية والانكليزية والفرنسية والايطالية والسكندينية التي كانت — مبدئيا على الأقل — تطرح في برامجها ومقرراتها وغير ذلك فكرة الصراع الطبقي وتناهض الوفاق بين الطبقات.

أما النقابات الأخرى فهي التي كانت تدعو في برامجها الى فكرة الوفاق الطبقي والسلم الاجتماعية حال النقابات الكاثوليكية والديمقراطية والبروتستنتية وغيرها، ويمكن أن ندرج ضمن هذا الصنف النقابات الصفراء التي تعترف نظريا بالسلم الطبقي والسلم الاجتماعية ولكنها كانت تمارس عمليا الصراع الطبقي لا لصالح البروليتاريا ولكن لصالح البورجوازية.

لقد قسم هذا التباين الأولي إلى قسمين كل هذا العدد الضخم من العمال المنظمين وأعطانا ترتيبا لكل نقابات العصر، إلا أن هذا التقسيم الإجمالي غير كاف في حد ذاته ان لم نعمّق ما كانت تمثله نقابات الصراع الطبقي.

ولو تأملنا النقابات التي كانت تضم ما يقارب ثلاثة أرباع العدد الجملي للعمال المنظمين، عشية الحرب، لوجدنا ثلاثة تكتلات سياسية وثلاثة تيارات عبر مسار تاريخ طويل.

إنها أولا التريدينونية (نتناول هنا التريدينونية كإتجاه سياسي وإيديولوجي) ثم الفوضوية النقابية وأخيرا وفي مقام ثالث الحركة النقابية الاشتراكية الديمقراطية. تلك هي التفرّعات الثلاثة — وهي هنا سياسية صرف — للنقابات وللحركة النقابية التي أسمىها منذ البداية نقابات الصراع الطبقي.

ولمّر الآن إلى محتوى كل إتجاه من هذه الاتجاهات.

## التريدينونية

ماذا نعني في الأدبيات النقابية والسياسية بكلمة «تريدينونية»؟ إن الترجمة الدقيقة لكلمة تريدينونية تعني نقابة مهنية. إلا أنّ هذه التسمية التي اقتبسناها

من البلدان الانقلو سكسونية أصبحت عبر مرور حقبة طويلة من تطور الحركة النقابية الانقليزية والأمريكية لا تعني فقط الشكل الخارجي الدال على نقابات هذه البلدان بل تعني أيضا مصطلحا يعرف أفكارا سياسية.

إننا نقصد بالتريدونية شكلا للحركة العمالية والنقابية لا يطرح على نفسه إلا مهام اقتصادية بحتة : تحسين ظروف العمل، الزيادة في الأجور ومسائل أخرى تتعلق بالوضع الاقتصادي للطبقة العاملة. فالتريدونية نظرية تولدت عن ممارسة الحركة العمالية الأنقلوسكسونية ويتمثل جوهرها في أنها لا تطرح على نفسها نظريا ولا عمليا السعي إلى الاطاحة بالرأسمالية ولكنها تهدف فقط الى تحسين النظام البورجوازي. نرى إذن أن الغرض الوحيد لوجود التريدونية (وهذا ما يميز أيضا الاصلاحية التي هي مفهوم أوسع يتجاوز حدود البلدان الانقلوسكسونية) هو النضال في إطار النظام الرأسمالي الذي هو بالنسبة للنقابات التريدونية نظام ثالث لا يتغير وفي حدوده يجب النضال للرفع من مستوى معيشة الطبقة العاملة.

لقد اكتفى بعض ممارسي الحركة الانقلو سكسونية ومُنظرها بصياغة أهداف النقابات على أنها تحسين وضعية الطبقة العاملة بل انهم اتخذوا من وجود العوامل الأساسية الثلاثة التي هي : العمل ورأس المال والمجتمع مبدأ لهم. وما يعنونه بالمجتمع يذكرني إلى حدّ ما بمصطلحنا «العنصر الثالث» ف «بمجالسنا» (Nos Temstvos) كانت تحتوي على هذا العنصر الثالث : «الأنتلجنسيا» (المثقفون) التي كانت تعتبر موضوعيا ثورية وتلعب دورا مميزا بين الطبقتين المتصارعتين. ويعنون «بالمجتمع» هذا الجزء من البورجوازية الذي يقبل، تحت ضغط الطبقة العاملة، بفكرة نجاعة التحسن التدريجي لوضعية العمال خدمة لرأس المال نفسه.

وهناك خاصية أخرى للشكل التريدوني للحركة العمالية وهو تشتتها التنظيمي وهيمنة المصالح المهنية على المصالح الطبقية العامة، وهذه المنظمة المهنية التي تشكلت عبر عدة قرون بقيت قائمة الى يومنا هذا بالرغم من أن الظروف الموضوعية تدفع بالحركة العمالية نحو تجميع الجزئيات المتفرقة ودمجها، ونحو ضمّ نقابات الحِرَف في أطر أكثر اتساعا جامعة بذلك عمّال هذه الصناعة أو تلك. ولقد نجم هيمنة المبادئ الحرفية على الفكرة الطبقية هيمنة المهام الاقتصادية الضيقة ونسيان المصالح العامة للطبقة العاملة.

ومن ناحية أخرى فالتريديونية كانت تؤمن بمصالح بلدها إيمانا كليا فكانت لا تقل امبريالية عن البرجوازية الانقليزية. فقد كانت البرجوازية الانقليزية — في سياستها الاستعبادية تجد المساندة السلبية حيناً والنشطة غالباً من قبل التريديونية. التي كانت تقيّم، بشكل غير واع، احتلال الشعوب واضطهادها من وجهة نظر تطوير الصناعة الوطنية، فالتريديون كانوا يرون في الامبريالية إمكانيات الزيادة في الأجور بفضل نمو الصناعة والبيع المريح للسلع المنتجة.

لقد كانت التريديونية تشارك عملياً في السياسة الامبريالية للطبقات المهيمنة، فهي ليست سوى ايدولوجية شرائح معينة من الطبقة العاملة وهي بحكم تقاضيتها أجوراً أفضل تجد نفسها تحت التأثير الايدولوجي لبرجوازياتها. ان التريديونية تمثل نظرية الأرستقراطية العمالية وممارستها، بل حتى فلسفتها.

تلك هي التريديونية الانقليزية.

## الفوضوية النقابية

لقد عرفت النزعة الثانية وهي نقيض التريديونية تحت اسم الفوضوية النقابية، ولئن ارتبطت التريديونية بالبلدان الأنكلوسكسونية فقد ارتبطت الفوضوية النقابية بالبلدان اللاتينية، وقد كانت فرنسا وطن اكتمال تطورها وظهور نظريتها التي حازت في البلدان اللاتينية تعاطف عدد هام من العمال.

فما هي السمات الأساسية للفوضوية النقابية؟ إن التريديونيين كما رأينا سابقاً لا ينشغلون إلا بالمصالح المهنية الضيقة أي مصالح هذه الشريحة أو تلك من الطبقة العاملة، أما الفوضوية النقابية فتنظر للمصالح العامة للطبقة العاملة (وهو ما يمثل فعلاً التقدم الذي حققته). وقد كان ذلك فيما مضى رد فعل سليماً من جزء هام من البروليتاريا ضد الانتهازية والاصلاحية المسيطرتين على المنظمات النقابية والسياسية، وبذلك فالخط الأول والمميز للفوضوية النقابية هو طرحها مسائل تُعنى بجموع الطبقة العاملة والنضال لتحطيم النظام الرأسمالي لا بغية تحسينه.

أما السمة الثانية التي تميّز الاتجاهات الفوضوية النقابية في الحركة العمالية العالمية فهي طابعها المعادي للسياسة، فالنضال الاجتماعي تنصده النقابات حسب رأي الفوضويين النقابيين الذين لا يرون أية منظمة قادرة على الاطاحة بالرأسمالية

ما عدا النقابات وقد أكدوا أن الأحزاب السياسية بداية من الأحزاب البورجوازية الى الأحزاب الاشتراكية وحتى الشيوعية هي من الوجهة الاجتماعية منظمات مختلطة في حين أن النقابات هي منظمات عمالية صرف، والحزب يمثل اتحاد مواطنين أما النقابات فاتحاد منتجين، والحزب يستطيع أن يضم — في الآن نفسه — عمالا وأفرادا من طبقات أخرى، أما النقابة فهي لا تضم إلا عمالا ومن هنا يستنتج الفوضويون النقابيون مبدأ أولوية النقابة على الحزب، وبذلك تصبح النقابة الأداة الرئاسية في الثورة الاجتماعية، ومن ناحية أخرى وحسب مُنْظَرِي الفوضوية النقابية وممارسيها أمثال صورال Sorel ولقردال Lagardelle وقريفلهاز Griffuelhes فإن النقابات ليست فقط ركيزة الطبقة العاملة في النضال من أجل تحطيم المجتمع الرأسمالي بل هي الخلية التي سينبثق منها المجتمع المستقبلي.

ويرى الفوضويون النقابيون أن النقابة لن تنجز الثورة فحسب بل ستحقق بناء المجتمع الجديد وستكفل بتنظيم الانتاج وترتيبه في كل فروع الصناعة وستدير كل فروع الاقتصاد الوطني. تلك هي الفلسفة الاجتماعية للفوضوية النقابية إلا أنها لا تقف عند ذلك الحد.

هناك خاصية أخرى للفوضوية النقابية فقد ورثت وراثه كلية عن الفوضوية نظريتها في الدولة، فالدولة شر مهما كان شكلها ومحتواها وهيكلها التنظيمي هو في حد ذاته أداة لاستغلال الانسان للانسان وقد كان العمال دوما ضحية هذا الاستغلال. لذا فمند عشية الحرب عندما طرحت مسألة ديكتاتورية البروليتاريا بشكل مجرّد ونظري عارضها الفوضويون النقابيون لما رأوا فيها من تأييد لاستغلال العمل فالفوضويون النقابيون يعادون الدولة ويمناداتهم لتحطيمها يرمون لأنفسهم المجتمع الجديد بعد الثورة الاجتماعية في شكل كيان تلعب فيه النقابات دورا قياديا، وهذا المجتمع «الفوضوي» (أي بدون دولة) ستنظم شؤونه النقابات فقط ولن يهتم إلا بالمسائل المتعلقة بالانتاج والتوزيع.. الخ.

لنذهب أبعد من ذلك، كل ما قيل يهم المستقبل ولكن بماذا يتميز الفوضويون النقابيون، حاضرا، عن المنظرين والمباشرين النقابيين الآخرين. وماذا يقترحون؟

لقد بلورت الفوضوية النقابية عبر النضال بعض المناهج التي ميّزتها عن الاتجاهات الأخرى، فهي قبل كل شيء تولي أهمية كبيرة للأقليات الفاعلة، وفي

حقيقة الأمر فإن الفوضويين النقابيين يرون أنه على هذه الأقلية الفاعلة أن تعوّض القاعدة في عديد الحالات، وبصفة إجمالية فالفوضوية النقابية تحترس من الجماهير شأنها شأن الفوضويين. إن الفرد هو الذي يلعب الدور الأعظم فالأقلية الفاعلة لا تقتصر فحسب على المبادرة وجر القاعدة وراءها بل إنها تستطيع إنجاز مهمة البناء بدون مشاركة الجماهير. وتعويض القاعدة بالأقلية هو إحدى الخصائص المميزة للفلسفة الفوضوية النقابية.

وانطلاقاً من هذا المبدأ أوجدت الفوضوية النقابية في نضالها اليومي عناصر لا تجدها عند أي اتجاه آخر. لقد أدخل الفوضويون في النضال عنصر مغامرة يبرز خاصة في الدور المبالغ الذي توكله للحزب، وصاغوا بتنظيمهم أكثر ما يمكن من الاضرابات هذا المصطلح الخاص : «الجمباز الثوري» (Gymnastique révolutionnaire) اذ يعتقدون أن الاضراب هو دوماً «خير» ويؤكدون بأن يعود يوماً بالنفع على الطبقة العاملة لأنه يجزّ عددًا نسبيًا من العمال إلى التحرك ويُذكّي العلاقات الاجتماعية والصراع بين الطبقات.

ولا يعرف الفوضويون النقابيون أعمال التحضير الطويلة والدقيقة ولا دراسة الظروف الموضوعية التي يجب أن يقع فيها الاضراب ولا التقدير الواقعي للقوى المتقابلة ودور القاعدة أو العلاقات بين القاعدة والأقلية الفاعلة. إنهم يتصورون الثورة الاجتماعية ستنتطلق فجأة وحتى في غياب أوليات التنظيم السياسية وغيرها.

وهنا يكمن أصل نظرية الاضراب المحرر الذي يمكن أن يندلع في كل لحظة ولأي سبب، وقد كان منظرو الفوضوية النقابية يولون أهمية حاسمة للمبادرة بإعلان الاضراب العام أما ما تبقى فستنجزه الحركة العفوية للقواعد. وقد قادت تجربة إضرابات عديدة نظمت في فرنسا حسب طريقة الفوضوية النقابية إلى هزائم كاسحة وفرضت على الزعماء الانشغال بمسائل عديدة وخطيرة للحركة العمالية. وهكذا بلوروا فكرة العرقلة (Sabotage) أو ما نسميه بالارهاب الاقتصادي كوسيلة عمل ضد أصحاب رأس المال وقد عارضوا أيضاً الصناديق المالية القوية منطلقين في وجهة نظرهم هذه من كون النقابات تشبه من هذه الناحية البشر : فمن يمتلك مالا كثيرا قلما يكون مستعدا للنضال، وإذا جمّعت النقابة مالا وفيرا في صناديقها فإنها ستخشى فقدانه وتبعا لذلك ستفقد صفتها الكفاحية واستعدادها لشن الاضرابات.

تلك هي الخطوط الجمالية لما يمكن أن نسميه الاتجاه الفوضوي النقابي للحركة النقابية العالمية وهو يميز البلدان اللاتينية وخاصة فرنسا واسبانيا والبرتغال والارجنتين والمسيك... الخ.

أما في إيطاليا، هذا البلد اللاتيني الآخر فقد اتخذت الحركة النقابية في تطورها نمطا مغايرا.

لقد استعرضنا سابقا الحركة الفوضوية النقابية الصرف إلا أنه في الواقع كانت تتصادم في صلبها نزعات مختلفة، فجزء منها كان يقترب من نظريات ماركس وكان أنصاره يرفضون الايديولوجية الفوضوية ويسمون أنفسهم نقابيين ثوريين، وقد كان هذا الجزء يقترب عمليا إن لم يكن نظريا من الجناح اليساري للحركة العمالية، والحركة النقابية من هذا النموذج لم تكن متجانسة بل تشقها نظريات عديدة تقترب بدرجة أو أخرى من الايديولوجية الفوضوية.

## الحركة النقابية الاشتراكية — الديمقراطية

وأخيرا هناك مجموعة ثالثة أو اتجاه ثالث تمثله الحركة النقابية الاشتراكية — الديمقراطية وقدمت نموذجه الأكثر إكتمالا ووضوحا الحركة النقابية بألمانيا والنمسا.

فما هي الخطوط المميزة لهذا التمثل من الحركة النقابية؟ إنه لا يحتل إلى حد ما إلا موقعا وسطا بين التريدينيونية والفوضوية النقابية ونظريا كانت فيما مضى الحركة النقابية الاشتراكية الديمقراطية تنطلق من ضرورة خلق نظام جديد. لقد كانت تتميز إذن عن التريدينيونية الصرف بكونها تقترح خلق مجتمع جديد أي إزالة رأس المال في ظروف محددة. لقد كانت اشتراكية بمعنى أن مثلها الأعلى كان الاشتراكية، إلا أننا نخادع أنفسنا كثيرا اذا خلطنا بين المثال الأعلى الاشتراكي أو بعبارة أخرى النظرية الاشتراكية والمقررات الاشتراكية وبين الممارسة اليومية والاعداد للاشتراكية. لقد كانت خاصية الحركة النقابية الاشتراكية الديمقراطية لما قبل الحرب تتمثل في الاعلان عن إمكانية تحقيق مجتمع جديد بواسطة تحولات تدريجية ومكاسب جزئية وإدخال بعض التحويرات على المجتمع القائم. لم تعد إذن الاطاحة برأس المال هي هدف هذه النقابات ولكن تحويره وتعويضه التدريجي هما الهدف. فكيف كانت النقابات الاشتراكية الديمقراطية تعتقد في إمكانية تحقيق الاشتراكية دون القطع مع الرأسمالية.

لقد كانت تعتقده بتوسيع جبهة الديمقراطية وتوسيع المجتمع الديمقراطي الذي سيشتع بديمقراطيته إلى أقصى الحدود أي ينتقل من الديمقراطية السياسية شيئاً فشيئاً إلى ديمقراطية اقتصادية واجتماعية، وهنا نجد نظرية التطور الشهيرة التي يواجه بها اصلاحيو كل البلدان الحل الثوري للمسألة وللتناقضات والتناحرات الاجتماعية. ذلك هو الأساسي فيما تقدمه لنا نظرية الحركة النقابية الاشتراكية الديمقراطية، فالاشتراكية، من منظورها، هي الابن الشرعي للديمقراطية أي يجب أن تنشق شيئاً فشيئاً عن تطور الأشكال الديمقراطية.

فكيف تُخلَق هذه الأشكال الديمقراطية؟ هناك طرق مختلفة لتحقيق ذلك : ثورية وتطورية. فالخط المميز للحركة النقابية الاشتراكية الديمقراطية يتمثل في مناداتها بالانتقال البطيء والتطور التدريجي من شكل إلى آخر، وهذا الرأي يحمل تسميات مختلفة على إختلاف البلدان إلا أن كلمة اصلاحية تعبر أحسن تعبير عن محتواها، والاصلاحية مأخوذة من كلمة إصلاح أي إدخال تحويرات تدريجية على المجتمع القائم بواسطة إصلاحات. وقد حمل هذا الاتجاه في فرنسا وفي وقت ما اسم الامكانيتية (Possibilisme) أما في انجلترا فقد اتخذ له اسم الفابينية (Le fabiamisme) نسبة الى فاييس كينكاتاتور (Fabius Cunctator) الجنرال الروماني الشهير بتردده، وقد طبقت كل هذه المصطلحات على من يسمون بالاشتراكيين والمناصرين للانتقال التطوري والبطيء من نظام رأسمالي إلى نظام اشتراكي.

ويجب التمييز بين الحركة النقابية الاشتراكية الديمقراطية وبين الحزب الاشتراكي الديمقراطي ويتحدد موقع الحركة النقابية الاشتراكية على ضوء نوع من تقسيم المهام فالحزب يهتم بالسياسة والنقابات تهتم بالاقتصاد، والمسائل العامة للحركة العمالية هي من مشمولات الحزب وعلى النقابات ألا تولي اهتمامها إلا بالمسائل الاقتصادية. والمثير للغربة ما حدث عدّة مرات في ألمانيا من حالات رفضت خلالها النقابات معالجة مسألة الاضراب العام بدعوى أن ذلك ليس من اختصاصها وأن حسم هذه المسألة يعود إلى الحزب.

إلا أنه كلما رأى الحزب ضرورة الاضراب العام وملاءمته وكلما رغب في استعمال طرق نضال ثوري اصطدم بمعارضة مستميتة من النقابيين الاصلاحيين.



وتبعاً لذلك فإن الحركة النقابية العالمية تبرز ثلاثة تيارات فكرية كانت تتصادم فيما بينها منذ ما قبل الحرب، ولقد ظهرت هذه الاتجاهات داخل الحركة العمالية لكل بلد لكنها غالباً ما اتخذت طابع صراعات بين ممثلي بلدان مختلفة، ففي ألمانيا حيث كانت الحركة الاشتراكية الديمقراطية مهيمنة، كانت الاتجاهات الفوضوية النقابية ممثلة تمثيلاً ضعيفاً نسبياً في النقابات المسماة بـ «الحلية» وفي فرنسا حيث سيطرت الفوضوية النقابية كانت توجد أيضاً حركة إصلاحية قوية نسبياً شبيهة بنموذج ألمانيا وانقلت وأمريكا، حيث اتخذت الحركة النقابية أشكالاً جدّ خصوصية بينما كانت الأشكال الأخرى تعيش إلى جانبها في حالة جنينية.

## النزعة الحيادية في الحركة النقابية

نرى من خلال ما تقدم أن المسألة الأساسية للحركة النقابية كانت تتمثل في العلاقات بين المنظمات السياسية والاقتصادية للطبقة العاملة، ويمكننا أن نتبين أربع وجهات نظر مختلفة حول هذه المسألة، فالأولى تقرّ بسيطرة النقابات على المنظمات السياسية (الفوضوية النقابية) والثانية تدعو إلى المساواة في الحقوق بين المنظمات النقابية والسياسية (الحركة النقابية الاشتراكية الديمقراطية) أما الثالثة فتجاهل النضال السياسي للمنظمات النقابية والتنظيم السياسي للطبقة العاملة (التريدنيونية) في حين تنادي الرابعة بتفوق الأحزاب السياسية على المنظمات النقابية (الماركسية الثورية).

وفي الأدبيات النقابية السياسية السابقة للحرب كانت كل الاتجاهات التي تعارض التنظيم العمالي السياسي تجد تعبيرتها في نظرية الحياد. فما هو جوهر هذه النظرية؟

إن النقابات باعتبارها منظمات عمالية جماهيرية ليست منظمات سياسية وعليها ألا تبدي أي تعاطف خاص نحو أي حزب وعلى أساس هذا الشرط فقط يمكن للعمال من أي اتجاه أن يشاركوا في المنظمات النقابية، وقد وجدت نزعة الحياد من هذه الزاوية تعبيرتها الأجل في الحركة النقابية الأمريكية والانقليزية حيث كان الزعماء يساندون هذا الحزب البورجوازي أو ذاك متبعين بذلك سياسة واقعية. والحيادية الصرفة لم تستطع أن تتركز في البلدان ذات الحركة النقابية الاشتراكية الديمقراطية، ففي هذه البلدان لم تكن العلاقات بين النقابات والأحزاب البورجوازية

هي نفسها التي بين النقابات والأحزاب السياسية العمالية، فالرغبة في التخلص من مراقبة الحزب تجد تعبيرتها في نظرية المساواة في الحقوق بين الحزب والنقابات وفي تقسيم ميدان نضال الطبقة العاملة إلى منطقتين متوازيتين. فهل من الضروري أن نكثر من الحجج لنثبت أن النزعة الحيادية في الصراع السياسي تساوي التخلي عن السياسة العمالية وعن السياسة الطبقيّة، وأنها بذلك مساندة للبرجوازية؟ أما نظرية المساواة في الحقوق بين المنظمات السياسية والنقابية فمن البديهي أن شأنها شأن نظرية الحيادية هي ذات أصل برجوازي جلي. فبتعلة الاستقلالية والمساواة في الحقوق تهدف هذه النظرية الى إبعاد النقابات العمالية عن المهام المطروحة عليها وهي مهام فرضتها الأهداف المشتركة للطبقة العاملة. وهنا نقرب من مسألة العلاقات بين الحزب والنقابات وهي مسألة ما زال علينا أن نضعف من اهتمامنا بها.

## الماركسية الثورية في الحركة النقابية

لقد كان يوجد حتى أثناء الفترة التي سبقت الحرب العالمية جناح يساري في الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي كانت تقاوم بلا هوادة الانحرافات الإصلاحية في المسألة النقابية وقد قاد هذا النضال، في ألمانيا، الراديكاليون أمثال روزا ليكسمبورغ Rosa Luxembourg ومرينغ Mering وكاوتسكي Kautsky. وفي روسيا أيضا وقع هذا الصراع أثناء إزدهار الحركة النقابية الذي لم يعمر طويلا. فقد كانت مسألة العلاقات بين الأحزاب السياسية والنقابات موضوع نقاشات حادة وحسمت هذه المسألة رسميا في المؤتمر العالمي بشتوتغارت Stuttgart سنة 1907 الذي تبنى لائحة تدين النزعة الحيادية. غير أن الإصلاحية النقابية التي هزمت رسميا تواصلت مع ذلك وهي التي قادت الطبقة العاملة الى الافلاس الايديولوجي والسياسي لسنة 1914.

لقد اتخذت البلشفية الروسية موقفا على غاية من الوضوح بالمقارنة مع النقابات ومن المعلوم ان الصراع بين البلشفية والمنشفية كان ذا حدة خاصة حول مسألة العلاقات بين الحزب والمنظمات النقابية، فالبلشفية ناهضت مناهضة قطعية الحيادية ونظرية المساواة في الحقوق بين المنظمات النقابية والسياسية وبالمقابل كانت تنادي دوما بقيادة الحزب للنقابات. إلا أن الظروف السياسية بروسيا لم

تكن لتسمح بالوجود الدائم للنقابات العمالية ولا بالوجود القانوني للحزب مما أضفى طابعا مميزا على كل المسائل السياسية والنقابية.

لم تستطع الماركسية الثورية أن تطبع الحركة النقابية لعدد البلدان في فترة ما قبل الحرب فلم يكن هناك إذن نموذج ماركسي وثوري للحركة النقابية ولا نستطيع إلا أن نعرض وجهة النظر الماركسية الثورية حول مسائل الحركة النقابية ومهامها.

إن النموذج الثوري والماركسي للحركة النقابية، النموذج الشيوعي، هو حديث عهد ولا يعود تاريخه إلا الى الفترة التي بدأت مع نهاية الحرب العالمية.

## بعث الأمميات النقابية

إن الصراعات بين الاتجاهات التي بينها سابقا في الحركة النقابية وجدت صداها في الصراع حول المسائل التنظيمية الذي انعكس بدوره على الأممية التي تأسست منذ ما قبل الحرب. إن الدراسة المفصلة لمجمل هذه الاتجاهات في الحركة النقابية ستفسر لنا لماذا تزامنت بداية الحرب مع بداية إفلاس مجموع الحركة النقابية والحركة الاشتراكية العالمية.

فماذا تتميز الحركة العمالية عن الأشكال الأخرى للحركة الاجتماعية؟ إن الحركة العمالية هي قبل شيء حركة عالمية وهذا يعود في جزء كبير منه الى الرأسمالية التي ان لم تخلق ظروف وحدة للعمل فإنها، على الأقل، خلقت أشكالا متجانسة للاستغلال. وهي الأشكال التي حتمت بعث منظمات عالمية للطبقة العاملة، وهكذا فإن ضرورة إيجاد أمميات بدأت تُحسّ شيئا فشيئا كلما احتلت الرأسمالية مناطق جديدة وبلدانا جديدا، فالرأسمالية المكتسبة لصفحتها العالمية يوما فيوما أدّت الى ظهور قوى معارضة تقابلها منظمات عمالية عالمية.

ففي ماذا تتمثل الخطوط المميزة للقرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؟ إنها تتمثل في أن الرأسمالية خلقت منظمات جديدة لتتفنن في استغلال الانسان للانسان، ومجموعات جديدة وتروستات (Trusts) ومجموعات شركات (Consortium) ونقابات وغيرها. وتتمثل أيضا في أن الرأسمالية جمعت قوتها التي تمكنت بواسطتها من مضاعفة ضغطها على جماهير العمال، ومن ناحية أخرى فإن

الاستغلال الرأسمالي قد امتد ليتجاوز الحدود الوطنية. كل ذلك قاد الجماهير العمالية الى البحث عن أشكال للاتحاد تتجاوز الحدود الوطنية وتجمع العمال دون اعتبار جنسيتهم أو مرتبتهم.

وبذلك فإن تطور الرأسمالية وأشكال الاستغلال الرأسمالي وطرقه، ونمو الدولة المُمركزة، وتطور التكنولوجيا ووسائل الاتصال قد قاد الطبقة العاملة إلى إيجاد أشكال اتصال جديدة للضغط على الأعراف بواسطة نضال مشترك ومتزامن إلا أنه وبالرغم من الضرورة الملحة للنضال على جبهة موحدة وعالمية فإن الحركة النقابية العالمية لفترة ما قبل الحرب شأنها شأن الحركة السياسية لم تدركا مستوى الحركات العالمية المتزامنة بالرغم من تَكُون أمميات سياسية ونقابية.

## السكرتارية النقابية الأمية

نجد في الميدان النقابي قبل الحرب السكرتارية النقابية الأمية التي تأسست سنة 1902 والتي تزامنت ندواتها في أغلب الأحيان مع المؤتمرات الأمية الاشتراكية ومع ذلك فقد كانت النقابات تبعث بممثلها أيضا الى هذه المؤتمرات ولم تكن السكرتارية الأمية منظمة أممية بالمفهوم الحديث لهذا المصطلح ولا خاصة بالمفهوم الذي يعطيه لها الشيوعيون، ولم تكن منظمة نضال، فما كانت إلا منظمة عالمية للاعلام المتبادل، وقد كان من الأجدر أن تسمى «مكتب الاعلام الدولي» أو «المكتب الدولي لتبادل المعطيات الاحصائية» أو «صندوق بريد دولي» أو أي اسم آخر. ومهما يكن من أمر فلم يكن لها الطابع الجوهري الذي يجب أن تمتلكه أممية عمالية أي تقديم مصالح مجموع الطبقة البروليتارية على مصالح مكوناتها المختلفة ولم يكن لها حتى التوجه إلى خوض النضال ضد الرأسمالية على مستوى عالمي.

## أمميات الصناعة

لقد وجدت أيضا إلى جانب السكرتارية النقابية الأمية أمميات للصناعة كالنسيج والمعادن والخشب، وأممية الحلاقين وصانعي القبعات والإبرة وغيرهم. وقد بلغ عددها الجملي أكثر من عشرين تجمعاً عالمياً كان من الأفضل أن تسمى «رموز لتجمعات عالمية» لأنها لم تكن تجمعات حقيقية، فممارسة الحركة العمالية

العالمية لما قبل الحرب لم تعرف حالات لعبت فيها إحدى أمميات الصناعة دورا رياديا في الصراع العالمي ولا قادت أثناءها تحركا متزامنا لعمال صناعة واحدة في بلدان مختلفة.

إذا قيّمنا هذه الأمميات من وجهة نظر الأهداف التي تطرح بصفة عامة على أممية فعلينا أن نقول، إجمالاً، إنه لم تكن هناك أمميات بل كانت هناك منظمات تحمل اسم أمميات وتضع على أوراقها ختم الأممية ولكنها في الواقع لم تكن ترمز إلا الى حاجة الطبقة الشغيلة الى أمميات مناضلة، ومن ناحية أخرى فان التقصير فيما يسمى بالأمميات كان ناتجا عن الفتور المميز للعلاقات الوطنية وعن وهن الحركة العمالية في كل البلدان.

فإذا أردنا أن نُكوّن فكرة متكاملة عن أسباب إنهيار الحركة العمالية العالمية في بداية الحرب علينا أن نتأمل بدقة ما كانت عليه هذه المنظمات العمالية وطبيعة العلاقات فيما بينها.

ولن ندرك لماذا كانت سنة 1914 سنة الانحلال التام والتشتت وانهار الروح المعنوية للحركة العمالية العالمية إلا بعد دراسة جوهر هذه المنظمات دراسة دقيقة.

لقد كان، قبل اندلاع الحرب، المنافسات الوطنية بين البورجوازيات تأثيرها في أمميات الصناعة بشكل خفي إلى حد ما، وفي ظل هذه المنافسات دوت الطلقات النارية الأولى متخذة شكلا أقل تقنعا، وقد كتب مرهايم Merrheim (وكان نقابيا ثوريا) بعد المؤتمر العالمي للمعادن المنعقد في سنة 1914، وكان نائبا فيه، يقول : إن ذلك المؤتمر عرف صراعا مكشوبا بين قطاعي المعادن الانكليزي والألماني.

لقد كانت الحركة العمالية في هذه الفترة موحدة رسميا في تجمع عالمي إلا أنها ظلت رغم ذلك في جوهرها ومجموعها مشبعة بالتعصب الوطني والخصوصيات الوطنية ويتشابك المصالح الصناعية الوطنية. فمسائل الوطن تصدرت وهيمنت على مصالح مجموع البروليتاريا والدفاع عن الوطن كان مبدأ غير قابل للنقاش بالنسبة إلى كل الحركة العمالية.

## تأثير الحرب في المنظمات النقابية

تلك هي وضعية الحركة النقابية العالمية لما اندلعت الحرب فقد بدأت نقابات كل البلدان، منذ السنوات الأولى للحرب، في تقليص أعداد منخرطيها، فتجنيد

الجماهير الشعبية الذي مسّ كل الأفراد البالغين انتزع من صفوف العمال مئات الآلاف وملايين من الرجال وقد كان انخفاض القوة العددية للنقابات شيئا طبيعيا في مثل هذه الظروف.

ففي ألمانيا مثلا انخفض عدد المنخرطين سنة 1915 إلى مليون ونصف بعد أن كان ثلاثة ملايين ونصف عشية الحرب وفي النقابات الاصلاحية تقلص العدد من مليونين ونصف الى مليون فقط أما في الكنفدرالية العامة للشغل (س.ج.ت) الفرنسية التي كانت تُعدُّ مليون منخرط قبل الحرب فلم يبق لها سنة 1915 أكثر من مائة وخمسين ألف منخرط وقد حدثت في البلدان الأخرى تغيرات عددية لا تقل عمقا عما رأيناه. لقد أفرغت الحرب عددا كبيرا من النقابات.

## الايدولوجيا النقابية أثناء الحرب

إن كل ما رأيناه لا يمثل الحدث الوحيد الهام فتأثير الحرب لا يتمثل فقط في تخفيض العدد بل الأمر الأخطر هو التحوّل الجذري للايدولوجيا القديمة وميلاد توجه حربي جديد، فهذه الايدولوجيا التي حملت تسميات متعددة في بلدان مختلفة عرفت عموما تحت اسم اشتراكية الحرب. ففيمّ تتمثل هذه الايدولوجية التي أوجدها زعماء الحركة النقابية والسياسية أثناء الحرب؟

يمكن أن نعرّفها بهذه الصيغة الموجزة : الوطن قبل كل شيء. ففي بداية الحرب كتب الفرنسي فيستاف هرفي Gustave Hervé أحد الاشتراكيين اليساريين الأكثر ثثرة، بعد أن غيّر رأيه لصالح الاشتراكية الوطنية بسرعة مذهلة واصفا هذا التحول قائلا : «إن العمال وقد أخذت الحرب بتلاييمهم ورفعتهم ثم ألقت بهم أرضا، أحسّوا قبل كل شيء أنهم أبناء هذه الأرض فكل عامل جرته عاصفة الأحداث عاد ليسقط فوق أرض موطنه».

ويجب القول إن اصلاحيي كل البلدان وهم أنصار التطور اتبعوا في هذا الظرف وفي مجال آرائهم طريقا غريبة عن التطور، فإن آراءهم هذه تغيرت جذريا في ظرف ليلة واحدة زد على ذلك فإن هذا الأمر لا يتعلق بالاصلاحيين فحسب بل وأيضا بعدد كبير من الفوضويين النقابيين الذين أحسّوا فجأة أنهم وطنيون في حين كان عداء الوطنية فيما مضى شغلهم الشاغل المفضل.

## الانقسامات حسب التحالفات العسكرية والديبلوماسية

لقد أدخلت ايدولوجيا الحرب لدى الحركة العمالية تغييرات عديدة على العلاقة بين القوى المتصارعة، فالحرب المعاصرة ليست حرب مجموعات صغيرة أو جيوش محدودة العدد بل هي حرب جماهير، حرب شعوب بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة إنها حرب التنافس الصناعي. ويلعب تكتيك الطبقة الشغيلة أثناء هذه الحرب وتكتيك النقابات وطرق نضالها دورا حاسما في الحرب الحديثة، وليس مجانيا أن يتوجه الثائر اللويد جورج Llyod George مخاطبا عمال المعادن سنة 1916 في إحدى خطبه المتعددة قائلا : «ان الانتصار الذي أحرزناه على الجبهة الغربية والتي اقتحمتها القوات الانكليزية قد ساهمتهم أنتم عمال المعادن في تحقيقه بقسط هام وحاسم» نعم لقد لعبت الصناعة دورا حاسما في الحرب، ونمو الصناعة الحربية يفسر التغييرات الكمية التي طرأت في صلب النقابات بداية من سنتي 1916 — 1917 .

ولكن هذا النمو يفسر من ناحية أخرى الهبوط النوعي لمستوى الحركة العمالية لأن الصناعة الحربية التي كانت تعتبر ركيزة الحرب وتجمع كل العمال الذين لم يتوجهوا الى جبهات القتال بلغت ظروف العمل فيها درجة أصبح معها العمال مشاركين نشيطين في الحرب ايدولوجيا وسياسيا.

لذلك عندما نتحدث عن الحرب بين فرنسا وانجلترا من ناحية وألمانيا من ناحية أخرى علينا أن نتحدث عن الحرب ليس بين البورجوازيين فقط وإنما بين اشتراكيي البلدان المتحاربة ونقاباتهما فليس هناك حرب فقط بمعنى أن النقابيين أرسلوا للجبهة لتقتيل رفاقهم لكن الحرب التي ابتدأت سنة 1914 سجلت أيضا بداية العدوات بين نقابات بلدان الوفاق ونقابات الامبراطوريات الوسطى. وانطلق جدال وصراع أفكار أكد خلاله ممثلو أحد الاطراف وهو الوفاق، أن النقابات الالمانية كانت بصدد خيانة مبادئ الاشتراكية الأمية بمساندتها للامبراطور كيزار \* Kaiser، وكان لوجيان Legien يبين من جهته أن الخونة هم فعلا نقابات الوفاق لأنها كانت تساند البورجوازية المرتبطة بقيصر روسيا.

إن هذه الحرب بين قادة النقابات هي التي كانت فعلا الطابع الاساسي المميز للفترة الممتدة بين 1914 — 1918 بل فاقت في تميزها سلوك القادة النقابيين لكل

بلد وتخليهم، باسم الوطن، عن المكاسب التي تحققت أثناء سنوات طويلة من النضال ضد بورجوازياتهم، فألغيت في انقلترا بعد الاتفاق الحاصل بين الوزير والنقابات، القوانين الداخلية التي تحمل وتدافع عن العمل، وفي ألمانيا والبلدان الأخرى ألغي التقيص من ساعات يوم العمل بعد اتفاق مسبق مع النقابات وبإيجاز كانت النقابات أثناء الحرب أساس الصراع نفسه وكانت لها مساهمة نشيطة ايدولوجيا وسياسيا وحتى عسكريا في المجزرة العالمية.

إن التقسيم حسب التكتلات العسكرية انتهى الى محاولة المسؤولين النقابيين لبلدان الوفاق تنظيم ندوة سنة 1916، بليدس Leeds بأنقلترا بغية تأسيس أممية نقابية وفاقية جديدة، وكلما اقترح ممثلو البلدان المحايدة (السويد والنرويج وهولندا وسويسرا) دعوة الى ندوة عالمية لتجميع أعضاء أممية مهنية رفض ممثلو «الديمقراطية» و«الحضارة» بفرنسا وانقلترا وغيرها هذا المقترح بكل عنف لأنهم لا يريدون الجلوس إلى طاولة واحدة مع ممثلي القوى الخورية.

فما الذي كان يقف وراء هذا الرفض؟ لماذا لم يرغبوا في مقابلة ممثلي النقابات الألمانية للتشاور في الطرق التي يجب اتخاذها لايقاف المجزرة؟ لقد فعلوا ذلك لأنهم كانوا مرتبطين ببورجوازياتهم الخاصة ولقاءهم كان سياسوي لقاء ممثلي البورجوازية، ولأن هدف الحرب كان تحطيم البلدان العدو وتخريبها وإنهاك الأمم اقتصاديا ولذلك كان طبيعيا جدا أن ترفض النقابات الفرنسية والانقليزية والامريكية الالتقاء مع النقابات الالمانية، لقد كان الالمانيون يريدون استعدادهم للتشاور إلا أن الفرنسيين والبلجيكيين كانوا يعتقدون أنهم مواطنو بلدان معتدى عليها تخوض نضالا من أجل الحق والحضارة. لقد كانت اذن الحركة النقابية مقسمة إلى أحلاف حسب المؤشر الدييلوماسي وقد يكون ما انتهت إليه الحركة العمالية والنقابية العالمية هو أدنى مستوى عرفته من الانحطاط.

## بعث المنظمات النقابية الثورية

يدو كأنه ليس هناك بصيص نور في هذه الصورة التي استعرضنا سابقا فكل شيء مشوب بالسواد والاصفرار وكل شيء يخضع لهيمنة الألوان الوطنية، لقد انتفى اللون الأحمر الأرجواني فكيف استطاع العنصر الجديد الذي ستتحدث عنه فيما بعد أن يولد من بين هذه الظلمات؟



لقد تزامنت عملية تكيف الحركة العمالية للحرب مع تراكم العداء ضدّ الحرب نفسها.

فما هي جذور الاصلاحية وما هي جذور الشيوعية؟ وكيف تستطيع طبقة عاملة واحدة أن تلدّ اتجاهين فكريين متعارضين تعارضا تاما؟

لقد تم ذلك لأن الطبقة العاملة تبني المجتمع الرأسمالي وتنفيه في نفس الوقت : اتجاهان يتضحان في نفس الوقت : أحدهما يتكيف مع المجتمع القائم والآخر يريد تقويضه، وهكذا فالشيوعية والاصلاحية اللتان تستمدان أصولهما من الطبقة العاملة تعكسان على التوالي المراحل المتعددة لتطورها الذي ظهرت اتجاهاته المناهضة للمجتمع البورجوازي بشكل يحتدّ من يوم لآخر.

يكون من الخطأ أن نخلل فترة الحرب من هذه الزاوية قائلين بما أن لجيان Legien وجوهو Jouhaux كان يخونان الطبقة العاملة فلا بد أن ايديولوجيا الحرب تغلغلت فيها بالكامل. خان هؤلاء السادة مبادئهم. هذا أمر لا مجال للشك فيه ولكن كيف حدث أن ملايين البروليتاريين وفي كل البلدان قد حذّوا جذوهم؟ لماذا؟ هنا يكمن أصل المسألة؟

نتطرق الآن الى مسألة لم تكن واضحة بما فيه الكفاية عشية الحرب، ففي تلك الفترة كنا نقلل من شأن التأثير البورجوازي في صلب الطبقة العاملة. لقد قاومنا الاصلاحية والبورجوازية حتى قبل الحرب إلّا أننا لم نكن نظن (وكل بلشفي يستطيع أن يقول ذلك بكل نزاهة) أن البورجوازية علاقاتها وايديولوجيتها وأدبها وكنيستها وفلسفتها وبصفة عامة كل ما أنتجته، تستطيع أن يكون لها مثل هذه السيطرة على الطبقة العاملة، وبالنسبة إلينا نحن، أي بالنسبة الى الجناح اليساري للحركة العمالية، بالنسبة إلينا نحن الذين كنا نمثل هذا الجناح اليساري قبل الحرب وأثناءها لم يكن هذا الانهيار منتظرا قطّ.

نحن نقلل من شأن تأثير المجتمع البورجوازي في الحركة العمالية ومن التلاحم العضوي القائم بينها وبين المجتمع البورجوازي الذي تعيش فيه وتتطور.

إلّا أنه خلال الحرب وبترامن مع النمو الأقصى لتأثير المجتمع البورجوازي في الطبقة العاملة ظهر اتجاه كان كامنا في صلبها ويتمثل في نفي النظام البورجوازي

ثم إن هذا الاتجاه الذي كان ضعيفا جدا في البداية والذي لم تكن له أية أهمية تذكر في بعض البلدان برز أولا في شكل ممارسات معزولة كعمل لينبخت Liebknecht الذي بدأ بالتصويت لفائدة القروض الحربية ولم يصوت ضدها إلا أثناء مناقشة الميزانية الثانية للحرب. وقد برز هذا الاتجاه نفسه في الحركة النقابية الفرنسية. وكان أن شاركت مباشرة في بعث النواة الأولى العالمية في صلب الكنفدرالية العامة للشغل (س.ج.ت) بمعية مونات Monatte وروزمار Rosmer ومهرام Merrheim الذي أصبح منذ ذلك الوقت «جثة حية»، لقد كانت الخلية الأولى التي انبثقت عنها ندوات زمرwald Zimmer بلد في سويسرا وكيثال Kienthal. وبدأت تنبثق اتجاهات وقوى جديدة من الأعمال الخفية للحركة العمالية، إن عموم الحركة لما بعد الحرب لا يمكن فهمه إلا اذا تأملنا المنظمات البروليتارية خلال الحرب ليس فقط من زاوية خيانة المسيرين لها بل وأيضا من وجهة نظر القوى الموضوعية التي حتمت التطور السياسي والمعنوي للطبقة العاملة، ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أيضا الاتجاهات الجديدة التي ظهرت في صلب التجمعات الأممية والتي تشكلت في نهاية الحرب وقادت، بعد الحرب، إلى بعث الأممية الشيوعية والأممية النقابية الحمراء.

إن الحركة النقابية لما بعد الحرب والحركة العمالية بصفة عامة لا يمكن فهمها إلا بعد دراسة دقيقة للحركة العمالية أثناء الحرب ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار التناقضات الضدية التي تشق المجتمع الرأسمالي والتي حددت صراع الاتجاهات وأحدثت منظمات ترفع شعار الاطاحة بالنظام الرأسمالي.

لقد أدركنا أهم الركائز التي طبعت التطور النقابي قبل الحرب وأثناءها وبالطبع فإن هذه الخطوط العريضة لن يتأتى فهمها جيدا إلا اذا عمتها وثائق غزيرة تتعلق بوضعية الحركة العمالية في كل بلد.

إن دراسة كل خصوصيات الحركة العمالية لعصرنا هي وحدها تتيح لنا لا فقط الاحاطة بالاسباب الأولية التي تقف وراء الأشكال الجديدة للحركة العمالية بل وأيضا بالمظاهر العضوية وغيرها التي اتخذتها التنظيمات الوطنية والعالمية الجديدة والتكتيك الذي طرحته وسط القواعد العمالية للنضال ضد البورجوازية وضد «وكلائها».

المحاضرة الثانية

الحركة النقابية العالمية في نهاية الحرب

## مضاعفات انتصار الدول المتحالفة على الحركة النقابية العالمية

لقد انتهت الحرب بانتصار «الديمقراطية» على «البربرية» وتولدت عن ذلك المواقف الشهيرة لفرساي Versailles وتريانون Trianon وسافر Sèvres التي كان ينتظر على اثرها أن يعمّ السلم والخير على الجميع. ومن الخطأ الكبير أن يعدّ ذلك الانتصار انتصارا فقط لبورجوازية على بورجوازية أخرى. كلا لم يكن فقط انتصار بورجوازية بلدان الوفاق على بورجوازية المانيا والنمسا، بل الأسوأ من كل هذا أنه كان انتصار نقابات البلدان المتحالفة على نقابات ألمانيا والنمسا. لقد كانت انتصار جزء من الأعمال على جزء آخر وهيمنة التي حققتها الحركة النقابية الألمانية قبل الحرب أزاها انتصار الحلف فانتقلت السيطرة الى النقابات الانكليزية شأن انتقال الهيمنة الاقتصادية الى البورجوازية الانكليزية وهكذا امتزج تطور الحركة العمالية والمنظمات العالمية العمالية بمصائر الرأسمالية وهذا أمر جدّ واضح منذ انعقاد الندوات العالمية الأولى بعد الحرب وقد طبع هذا الحدث كل المرحلة اللاحقة للحرب.

## تأثير الثورة الروسية في الحركة العمالية العالمية

قبل أن نصف الحركة النقابية بعد الحرب علينا أن نلاحظ أمرين اثنين الاول تأثير الثورة الروسية في الحركة العمالية العالمية، فمن المعلوم أن ثورة فيفري 1917 نفسها أدخلت عنصرا جديدا في الحرب وخاصة في الحركة العمالية العالمية اذ شقّ معها بصيص نور الظلمات التي لفت ما يسمى بالعالم «المتحضر»، بصيص أمل

للمضطهدين والمحرومين فحدثت الحرب الروسية نفسها ساهم في تعزيز الاتجاهات  
التائفة الى السلم في صلب الحركة العمالية العالمية، وتجدر الملاحظة أن الاستقبال  
الذي خصت به الثورة الروسية من قبل قادة الحركة العالمية الاشتراكية والنقابية  
اختلف بحسب المتاخمة الحدودية والقرب الجغرافي والديبلوماسي لهذا البلد أو ذاك  
من روسيا، وهكذا رأت النواة المسيرة للنقابات الألمانية والتمسوية في الثورة الروسية  
مقدمة لانهار البلدان المتحالفة. ولأسباب عملية كانت النقابات الألمانية، دون أن  
تتهج في الواقع ابتهاجا كبيرا بالثورة الروسية تعتقد أن روسيا لم تعد تهدد «وطنها  
العزیز». وقد كان المسيرون النقابيون للبلدان المتحالفة يعتبرون من جانبهم الثورة  
الروسية قوة جديدة من شأنها تقوية الجبهة الديمقراطية التي شكلها المتحالفون ضد  
ألمانيا، هكذا فمنذ بداية الثورة الروسية نظرت الأوساط النقابية اليها من زاوية  
نتائجها العسكرية.

إلا أن موقف القادة الرسميين هذا اصطدم بالاتجاه الجديد الناجم عن الثورة  
الروسية، فالنسبة الى الاشتراكيين الوطنيين لأوروبا الوسطى أيضا وخاصة بالنسبة  
الى القادة النقابيين الذين لعبوا دورا قياديا أثناء الحرب فإن النضال ضد القيصرية  
كان عاملا ذا أهمية كبيرة لحث الجماهير على الحرب وبسقوط القيصرية لم يجد  
الاشتراكيون — الوطنيون لأوروبا الوسطى ضد من يثرون الجماهير لأن الوحش  
القيصري لم يعد قائما كي يهدد الوطن، ومن ناحية أخرى فإن الثورة الروسية، في  
مرحلتها الأولى قد يسرت وضعية الاشتراكيين — الوطنيين للبلدان المتحالفة،  
فالاشتراكيون الوطنيون المدافعون عن الثقافة والحضارة كانوا يشعرون بشيء من  
الخرج، وهم يقاتلون الى جانب القيصرية، من أجل «انتصار الديمقراطية»، وأثناء  
الحرب ولما كنت بياريس أتيت لي أكثر من فرصة للنقاش مع الاشتراكيين  
الوطنيين بخصوص «القيصر مدافع عن الديمقراطية» ولما أخرجت براك Bracke  
في نقاش أجنبي قائلا : «نحن نعرف أن القيصرية كلب شر، ونحن نستعمله  
ككلب حراسة للديمقراطية».

ومن جهة أخرى بدت الثورة منذ البداية راغبة في مساعدة «المتحالفين»  
وبالطبع ليس مساعدة الزعماء السياسيين للبلدان المتحالفة ولكن المناضلين  
النقابيين لهذه البلدان. وقد كان المناضلون يظنون أنهم يستطيعون أن يستمدوا من  
ثورتنا بعض العزاء وبعض المنفعة في معنى أن فرنسا الليبرالية قد لا ترتبط مستقبلا

بالقيصرية، ولكن بروسيا التي هي على درجة ماثلة إن لم تكن أكثر ليبرالية من فرنسا بجمهورية على رأسها كيرنسكي Kérensky.

إلا أن هذه الحظوظ بدت وهمية ما إن أريد تحقيقها، فقد كانت الأوساط المسيرة للحركة العمالية وخاصة للحركة النقابية تسجل بقلق متزايد تنامي «الفوضى» كما كانوا يسمون آنذاك البلشفية والتي، كما هو معلوم، بدأت تظهر بمزيد من القوة منذ بداية شهر جوان. وغني عن التذكير بأن سفراء اشتراكيين أرسلوا الى روسيا وأن لافونت Lafont وموتات Moutet وكاشين Cachin أصبح كاشين شيوعيا حاليا في حين لم يكن كذلك) أرادوا حصر الثورة الروسية في نظام ديمقراطي وبعبارة أخرى جرّ روسيا من جديد الى الحرب.

ولن نتوقف عند وصف الخطب الجميلة للخطباء الذين أرسلهم إلينا البلجيكيون ولا حركات الانقلاز وسكناتهم التي يعرفها الجميع. فالحركة العمالية والمنظمات المهنية للبلدان المتحالفة حاولت التأثير في الثورة الروسية وجدها نحو هذه البلدان مذكرة إياها بما قطعتة من وعد.

وعلينا أن نقول إنّ الامبريالية الفرنسية — ولنعترف بهذا لاعدائنا — خاضت بحذق كبير دعايتها السياسية الهادفة الى تضليل الجماهير. وقد كانت تريد أن ترسل الى روسيا مرهايم Merrheim زعيم جامعة المعادن بصفته ممثلا شبه رسمي يتمتع بصلاحيات واسعة، وقد كان محسوبا على جماعة زمرwald Zimmerwald. وكانت المسألة نوقشت في الأوساط الحكومية. إلا أن هذا المشروع الجديد أجهض بسببنا : فقد سدّدنا فجأة لهولاء السادة ثورة نوفمبر.

ومهما يكن من أمر فإن الأوساط القيادية العمالية في كل بلدان أوروبا كانت تنظر الى الثورة الروسية من زاوية النتائج التي قد تكون لها على مواصلة الحرب ونهايتها. ومن ناحية أخرى فإن الثورة الروسية وفي مرحلة لاحقة أحداث نوفمبر 1917 اثرت مباشرة في الجماهير العمالية، فالثورة حركتها وأثارت حماسها، وبداية من ثورة نوفمبر حدث منعرج، وبدأ طور جديد في الحرب كما في الحركة العمالية العالمية.

وتبعاً لذلك ولفهم التطوّر اللاحق للحركة العمالية في أوروبا الغربية فهما جيدا علينا أن نأخذ بعين الاعتبار عاملا جديدا وقوة جديدة : هما الثورة الروسية في

أكتوبر 1917 وتأثير هذه الثورة في المرحلة التي عقت تسلم البروليتاريا الثورية بروسيا للسلطة.

لقد قلبت ثورة نوفمبر كل الحركة العمالية العالمية رأسا على عقب : فقد طرحت مسألة وقف الحرب بشكل حاد، وبما أن ثورة-نوفمبر كانت مسألة مركزية في اهتمامات عمال كل البلدان فقد أدخلت فيما بعد تغييرات عميقة على منظماتها النقابية.

فما هو الانطباع الذي تركته ثورة نوفمبر لدى الحركة النقابية في أوروبا الغربية؟ إنه انطباع متنوع حسب التحالفات الديبلوماسية، فالاصلاحيون كانوا يعارضون البلاشفة معتبرينهم «باشي — بوزوق» \* «Bachi-bouzoucks» ويرون أنهم حرقوا «المبادئ الديمقراطية» و«القانون».. إلخ، إلا أن هذا الموقف العدائي كان شكله يتغير حسب المظهر الذي يتخذه في الامبراطوريات الوسطى أو في البلدان المتحالفة.

ففي أوروبا الوسطى اعتبرت ثورة نوفمبر وبعد ذلك سيلم «بريست» Brest قضاء نهائيا على قوة معادة، فنقابات أوروبا الوسطى كانت ترى في ثورة نوفمبر، مع معاداتها، مصدرا للمساعدة لم يكن منتظرا لأنها تسمح للامبراطوريات الوسطى بأن تلقي على الجبهة الغربية بقوات قد تحررت من الجبهة الشرقية. وبديهي أن نجد تقييما مخالفا لثورة نوفمبر عند الحلفاء، فخرج روسيا من هذه اللعبة، بدا لهم خرقا لكل القوانين الانسانية والالاهية لم يسمع بمثله، فقد اهتمونا بعدم الايفاء بالوعد وهو أمر مخالف للحقيقة لأننا لم نتحمل مسؤولية أي التزام تجاه بلدان الوفاق، فهذه الالتزامات كان قد أبرمها نيكولا الثاني Nicolas II ثم كيرنسكي Kérensky ولم نبرمها نحن.

ومن جهة أخرى كان الموقف من السوفيات يتغير حسب تكون مجموعات جديدة أو اثر تغير موازين القوى المتقابلة.

وقد كان نضال روسيا السوفياتية ضد البورجوازية العالمية يذكي الطاقة الثورية للجماهير العمالية في كل البلدان وهذا ما يفسر تشكل اتجاهات ومجموعات جديدة في صلب مجموع الحركة العمالية وخاصة الحركة النقابية.

## تجميع القوى

لقد قلنا سابقا إن إيقاف الحرب لم يكن بالنسبة إلى السوفييات مجرد نظرية بل كان فعلا مسألة عملية، فقد فوجئت الجماهير بحدث تاريخي لا يمكن أن تخفيه أية رقابة عسكرية، وقد كان مستحيلا اخفاء خروج روسيا من الحرب عن الجماهير.

لقد كان الأمر بالنسبة للاصلاحيين يعني استعمال إيقاف روسيا النهائي للعمليات الحربية قصد مواصلة تعبئة الجماهير معنويا ومن ناحية أخرى تجنيدها ضد الثورة.

ولما كان القياديون النقاويون الاصلاحيون يحاولون أداء هذه المهمة كانت الجماهير العمالية في فرنسا وألمانيا وأنفلترا تحس بنوع من التعاطف التلقائي معنا تحذوها رغبة جامحة في اتباع نموذجنا.

وهكذا غيرت نهاية الحرب وزن القوى المتقابلة فالأمية تدعمت بتحالفها أثناء الحرب مع ما كان يبرز أثناء الحرب بشكل ضبابي تحت اسم النزعة السلمية. لقد نمت الثورة الروسية، ومسألة انسحابنا من الحرب رغبة عامة في السلم وكذلك، وبصفة خاصة، النزعة السلمية العمالية التي عبرت عن إرادة عمالية في انتهاء الحرب.

## النضال من أجل السلم

لقد كانت «بريست ليتوفسك» Brest Litovsk أهم نقطة تركّز حولها نضال الجماهير العمالية من أجل السلم. ويتصفح الأدبيات النقابية الألمانية والفرنسية والانكليزية لهذه الفترة يظهر أن عقد سلم بريست ليتوفسك قد أوّله كل حسب التحالف الذي ينتمي إليه.

لقد أتاحت لي فرصة إلقاء كلمة سنة 1920، في المؤتمر المركزي للجان المعامل في ألمانيا وكانت أغليبتها اشتراكية ديمقراطية وجرّت العادة عندنا أن نضيف الى تحياتنا حقائق غير سارة. لذلك لم أتمحّج عندما ذكرت — والحالة هذه — بعض المقاطع من كورسبندانس بلات Korrespondenz Blatt الجريدة المركزية للكنفدرالية العامة للشغل (س.ج.ت) الألمانية التي كان قد كتب فيها الزعماء



النقايون بألمانيا حول سلم بريست Brest وقالوا من بين ما قالوا، في سنة 1918 : «ليس من مشاغل ألمانيا أن تحمي سلامة روسيا» إنها الجريدة المركزية للحركة النقابية الألمانية التي تجرأت على ذلك القول في الوقت الذي كان الجنرال هوفمان Hoffmann يضرب بقبضته على الطاولة ليفرض على السوفيات سلما حسب مفهوم القيادة الألمانية.

إلا أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، فالجريدة نفسها «كورسيندانس بلات» كانت قد نشرت ترهات من هذا القبيل مثل : «الأكد أن السلم المعقودة لم ترضنا إرضاء تاما إلا أنها رغم ذلك تعتبر تقدما هاما نحو تركيز المبادئ الديمقراطية في البلدان التي عانت سابقا من نير القيصرية».

وهناك أيضا كثير من المقاطع الموحية والجديرة بالذكر. ولما فعلت ذلك سنة 1920 أثناء ذلك المؤتمر الذي حضره ما يقرب عن ألف شخص ثلاثة أرباعهم من الاشتراكيين — الديمقراطيون، سمعت ورأي هذه الكلمات آتية من الطاولة التي جلس إليها أعضاء مكتب المؤتمر : «يا لها من حماقة عجيبة!» وكان امبرشت Umbercht هو قائلها فيما كان المؤتمر قد طأطأوا رؤوسهم، وبعد أن أنهت استشهاداتي قلت : «بإمكانكم أن تُقدروا بأنفسكم الآن من خلال معاهدة فرساي Versailles التي هي نسخة أشد خطورة معادة من معاهدة بريست Brest، المارة التي كان على العمال الروس أن يحسوا بها وهم يقرأون مثل هذه الأمور في مثل هذه الفترة».

إن سلم بريست ليتوفسك شأن الثورة الروسية كلها لم ينظر إليها الاصلاحيون إلا من زاوية واحدة تتمثل فيما اذا كانت معاهدة السلم هذه تخدم أولا مصالح «وطنهم العزيز».

لنعتبر كل ما كتب في البلدان المتحالفة حول سلم بريست وكل ما نشره الزعماء النقايون في فرنسا وانجلترا وبلجيكا... الخ. بقطع النظر عن أمريكا حيث كان قبرس Gompers يواصل هذيانه ملتفظا بحماقات تثبت بما لا يدع مجالا للشك اختلاله العقلي، وكان المناضلون النقايون يرون في هذه السلم خرقا جليا لمصالح أوطانهم.

إن أسباب سلم بريست جدّ معروفة ومع ذلك لا أستطيع أن أحرم نفسي من

متعة الإشارة الى حدث هام يتعلق بالصراع والنقاشات في صلب الحزب الشيوعي الروسي بخصوص سلم بريست. وتعرفون أن الحزب أوشك أن يفتت في تلك الفترة : فقد كان ايليتش Illitch يريد السلم مهما كانت التكاليف وانقسمت اللجنة المركزية إلى قسمين متعادلين تقريبا، وذكر رادك Radek أنه في يوم من الأيام وفيما كانت النقاشات على أشدها، قال ايليتش : «لقد صوّت الفلاحون بعدُ للسلم» فسأله رادك مندهشا : «متى تم ذلك؟» فأجابه ايليتش : «لقد صوتوا بأرجلهم لأنهم يفرون من الخنادق وما من حلّ لهذه الوضعية».

والحاصل فإن السبب الأول لسلم بريست يتمثل فعلا في «هذا التصويت بالأرجل» وعلينا أن نقول إضافة الى ذلك إن هذا السبب الذي خفي حتى عن البعض ممّا قد خفي أكثر عن الجماهير العمالية في أوروبا، ولمدة طويلة ظلت سلم بريست والصعوبات الجمة التي كان على الثورة أن تواجهها فيما بعد، أداة بين أيدي خصومنا الاصلاحيين لمحاربة الشيوعية. إلّا أن هذه السلم أضافت من جهة أخرى عنصرا جديدا في مجموع الحركة العمالية العالمية بالنسبة إلى الجماهير النقابية في كل البلدان، ففي ألسكا أو في استراليا، أو في أي مكان آخر، كان مجرد شتم صحافة العالم جمعاء ومؤاخذتها لنا على انتزاع البنوك والمعامل والمصانع يثير لصالحنا تعاطفا بالرغم من أنه كان ربما يبدو مبهما إلى حدّ في البداية.

ومن المفارقات يمكن أن نذكر أن أول تحريض لفائدة البلشفية قامت به الصحافة البورجوازية، إذ لم تكن توجد صحف شيوعية في الخارج غداة ثورة نوفمبر. فكلما افترت علينا الصحافة البورجوازية ازداد التعاطف الذي نحظى به توقدا، وساهمت كل هذه الأمور في خلق اتجاه نما منه ببطء شديد لا ينكر جناح يساري، داخل الحركة العمالية العالمية وأفضى هذا الاتجاه فيما بعد إلى تجميع الحركة النقابية الثورية وميلاد منظمات عالمية عرفت تحت اسم الكومنترون Comintern والأمية النقابية الحمراء.

وهذا ما ينبغي فهمه جيدا لتبين طبيعة الصراع الذي سيخاض لاحقا داخل الحركة العمالية العالمية.

## نموذج حركة نقابية رابع :

هناك أيضا حدث ذو أهمية قصوى ساهم في تغيير ملامح الحركة النقابية العالمية، إنه ميلاد وتشكل وتطور الحركة النقابية الروسية ولما قدمت سابقا صورة

عامة للحركة النقابية العالمية لم أتعرض بالذكر الى روسيا لأن روسيا لا تمتلك نقابات قبل الحرب فقد كانت موجودة إلا أنها لم تكن تلعب سوى دور لا شأن له ودور أقل شأنًا في الخارج، فالنقابات التي ظهرت عند سنة 1905 ونمت سنة 1906 حطمتها انتصار الستيلوينية\*، وقد عادت لتنتعش أثناء الانتعاشة الاقتصادية لسنة 1912-1913 ثم لتفنى نهائيا في بداية الحرب.

لقد تغيرت الوضعية بعد الحرب فمع ثورة فيفري وخاصة نوفمبر تشكلت النقابات الروسية حاملة معها نموذجا رابعا للتوجه النقابي وهو توجه ثوري بآتم معنى الكلمة، توجه شيوعي يجسد أفضل ما قدّمته لنا الحركة العمالية لكل البلدان.

نظرنا آنفا في نماذج ثلاثة للحركة النقابية : الانقلاو سكسونية واللاتينية والألمانية ومن وجهة نظر سياسية : التريدينونية والفوضوية النقابية والحركة النقابية الاصلاحية أو الاشتراكية الديمقراطية.

فما هي خصوصيات النموذج النقابي الرابع؟ لقد سبق لي أن قلت إنه شيوعي، لكن ألا تعني حركة نقابية شيوعية نفس ما تعنيه حركة سياسية حزبية؟ إنها قبل كل شيء شيوعية بمحتواها وتكتيكها، بأهدافها وطرقها النضالية، مع بقائها من وجهة نظر الأشكال مستقلة عن الأحزاب لأن الحزب لا يطمح إلا الى القيادة الايديولوجية للحركة النقابية، وهذا النموذج الرابع للحركة النقابية الذي يمكن أن نسميه بدون مبالغة نموذجا روسيا، وهو تعريف جغرافي معبر، يتميز عن التريدينونية بكونه لم يكن قط حركة اقتصادية صرفا أو حركة حرفية بحثا، فالروح الطبقة تقوده دوما حتى عند معالجته أهدافا مباشرة ويومية فإنه يعالجها دوما من وجهة نظر أهداف مجموع الطبقة ومهامها.

انه يختلف عن الحركة النقابية الاصلاحية بكونه لم يطرح على نفسه قط كهدف التحول التدريجي من الرأسمالية إلى الاشتراكية ويتميز عن الحركة الفوضوية النقابية بأنه لم يكن قط معاديا للدولة، على مستوى الحديث المجرد والماورائي، ولئن عادى الدولة فإنه يعادي فقط الدولة البورجوازية.

فكلما تعلق الأمر بدولة ما، فإننا نتساءل أية طبقة تمثل هذه الدولة وأية طبقة تقمع اذ أن وجهة نظرنا هي تاريخيا ملموسة دوما. وبعبارة أخرى وبالنسبة الى

النموذج الرابع للحركة النقابية فإن المهم ليس الشكل بل المحتوى الاجتماعي للدولة كما نرى فإن هذا النموذج للحركة النقابية يمتلك مبادئ تميزه بجلاء تام.

لن نتوقف طويلا عند هذه النقطة لأن ذلك يفرض علينا دراسة بنية النقابات الروسية وأنشطتها في ميادين متنوعة ولنكتف بالأهم والأساسي الذي يميز بوضوح حركتنا النقابية بين كل الحركات ويخصها بمكان على حدة، ويمكننا أن نقول دون مبالغة أن الحركة النقابية الروسية تبنت من الاتجاهات النقابية الأخرى ما كان فيها أكثر قوة وأصاله ثورية، وهكذا تتفق آراؤنا مع آراء الفوضويين النصابيين عندما يتعلق الأمر بالمهام المشتركة لمجموع الطبقة العاملة في النضال الثوري والعمل المباشر.

ولنا أيضا نقاط التقاء مع اصلاحيي ألمانيا فيما يتعلق بالمركزية والتركيز الأقصى للقوى، أما الحركة التريدينونية فإن نقاط التشابه معها قليلة إلا أننا نتبنى تصميم التريدينونيين على مواصلة النضال الاقتصادي، والفرق بيننا وبينهم هو أن كل عملهم يهدف الى تحقيق مهام يومية ولا يتجاوز ذلك أبدا، في حين نوظف كل طاقاتنا لبلوغ أهداف أوسع.

... ونناضل بغية التحرير النهائي للطبقة العاملة من النير الرأسمالي، نلاحظ اذن أن النموذج الرابع للحركة النقابية قد تبنى في نظريته كل ما كان ثوريا في الحركة النقابية العالمية.

## المُدِّ الصاحب للحركة النقابية

إن ما يميز، قبل كل شيء الحركة النقابية لما بعد الحرب هو نموها الصاحب، فلم يسجل التاريخ تقريبا أي مثال آخر لإنتشار النقابات والمنظمات العالمية بمثل هذه السرعة والفجئية. ولنتوقف عند أسباب هذا التطور السريع، لنأخذ بعض الأرقام ولنتأمل كذلك معطيات سنة 1919 ثم فيما بعد معطيات سنة 1920 وغيرها.

كان يوجد ببريطانيا العظمى في تلك الفترة وحسب الاحصاء الرسمي لسنة 1913 أربعة ملايين منخرط وبلغ ثمانية ملايين سنة 1919.

وكان العدد في ألمانيا سنة 1913، ثلاثة ملايين ونصف وأصبح اثني عشر مليونا

سنة 1920 وفي الولايات المتحدة حيث لم يكن النمو في مثل هذه السرعة، وصل العدد من مليونين و700 ألف سنة 1913 إلى خمسة ملايين و600 ألف سنة 1919. وانتقل العدد في فرنسا من مليون سنة 1913 إلى مليونين ونصف سنة 1919.

وتُسجل نفس الظاهرة في إيطاليا وبلجيكا وبصورة مميزة إلى درجة قصوى في البلدان المحايدة.

وهكذا نلاحظ أن جماهير عريضة من العمال تنضم إلى المنظمات النقابية.

إلا أن ما تجدر ملاحظته بوضوح في الحركة العمالية للفترة التي تلت الحرب العالمية هو ظهور منظمات نقابية في روسيا السوفياتية وفي بلدان الشرق الأقصى والأدنى، ففي الهند والصين واليابان والهند الصينية وتركيا وغيرها نهض العمال في كل مكان بعد إعصار الحرب العالمية وأخذوا يكوّنون منظماتهم الطبقية، فالمنظمات النقابية كانت تعدّ قبل الحرب ما يقارب عشرة ملايين من العمال المنظمين في النقابات، والاحصائيات الرسمية لسنة 1920 تبين أنه كان قد انخرط في ذلك الوقت خمسون مليون عامل، وقد قادت الحرب العالمية مرة أخرى إلى نتائج مناقضة لما كانت تتوقعه البورجوازية التي تتباهى بأنها أغرقت الحركة النقابية في الدم أثناء الحرب الامبريالية.

## أسباب هذا النمو

ما الذي تسبب في هذا النمو الهائل للنقابات؟ أول ما تسبب في ذلك هو أن الجماهير العمالية مع انتهاء الحرب كانت غير آمنة على مصيرها، فتسريح الجيوش طرح أمام الطبقة العاملة مسائل على غاية كبيرة من التعقيد، وتساءلت الجماهير الكبيرة عن كيفية الدفاع عن مصالحها. فقبل الحرب، كانت وضعية العمال المنفردين مضمونة أكثر، لذلك انضم أوعاهم إلى النقابات فيما ظل الجمهور الواسع خارجها. وحالما انتهت الحرب دفع التشكك وعدم الاستقرار العام الأفراد إلى البحث عن سند منظمة ليتحركوا في إطارها جماعيا، أما المنفردون فقد أحسّوا فجأة بأنهم أضعف بكثير مما كانوا عليه سابقا، فالأحداث الهائلة التي اجتازوها وشاركوا فيها دفعتهم إلى التفكير.

نحن نعرف أن الحرب التي أثارها التطاحنات الامبريالية لم تكن تهدف أساسا الى القضاء على المنافسة الألمانية فقط بل كانت تهدف أيضا إلى إخماد حتى إمكانية ثورة، ذلك هو على الأقل رأي العديد من ممثلي البورجوازية فقد بدا لهم أن السنوات الأولى للحرب قتلت كل عناصر المعارضة داخل الطبقة العاملة ولكن حالما انتهت الحرب ورغم المجزرة الوحشية فإن موجة قوية من الغضب حركت جماهير العمال واتخذ هذا الغضب أشكالا منظمة.

إن خشية المستقبل والغضب العام فرضا على العمال إعادة البحث عن ملاذ في العائلة المشتركة للمنظمات العمالية وخلقا نزعة الخروج من العزلة التي كان العمال يرتاحون إليها في ما مضى. لقد انضم العمال الى النقابات بحثا عن ظروف عمل أفضل وإيجاد حل للمسائل التي أثارها الحرب.

وجرّ هذا السيل العارم إلى النقابات عناصر واعية وإلى جانبها عناصر أقل منها وعيا : فإلى جانب رجال كانوا قد وجودا بعد حلولا في أذهانهم لمسائل الحرب، هناك رجال ما زالوا يبحثون عن جواب لهذه المسائل. فقبل الحرب وأثناءها لم تكن النقابات تضم في صلبها إلا الجزء الأوسع من البروليتاريا، وغداة الحرب لاحظنا دخول أفواج كبيرة من العمال في النقابات. وعلى من يريد أن يفهم تكتيكنا في افتتاح النقابات وموقفنا المناهض لنزعة الانشقاق وتوقنا الى الاستحواذ على مجموع المنظمات ألا تغيب عنه تلك الخاصية للحركة النقابية لما بعد الحرب، فبالنسبة لنا ليست المنظمة النقابية تجمعنا نخبوا بل هي إطار يجمع أكبر عدد ممكن من العمال المشتغلين في هذا الفرع أو ذلك من الفروع الصناعية.

## رواج الأوهام الإصلاحية

لقد لاحظنا غداة الحرب أن رواج الإصلاحية قد تزامن مع تطور الحركة النقابية، وهذا الرواج يعتبر الخاصية الثانية للحركة النقابية بعد الحرب، لقد بينا سابقا خصائص الإصلاحية وأوضحنا خطوطها البارزة، فبعد الحرب يبدو أن الإصلاحية وجدت إمكانية تحقيق مثلها الأعلى وبينت — بواسطة الإصلاحات — فاعلية وجهة نظرها المعارضة لوجهة نظر الجناح الثوري للحركة العمالية.

ففيما يتمثل رواج هذه الأوهام الإصلاحية؟

## الوفاق الطبقي في ألمانيا

من المعلوم أن انتهاء الحرب في الامبراطوريات الوسطى اقترن مع الثورة الألمانية المؤرخة رسمياً بالتاسع من نوفمبر، فقد بينت هذه الثورة أن القوى الوحيدة المنظمة، أثناء أية هزة اجتماعية أو تصادم ثوري بين الطبقات المتواجدة إنما هي البروليتاريا والأعراف. فقد إنهار نفوذ النبلاء الريفيين الألمانين تحت ضربات الهزائم العسكرية، ودوى التمرّد فكانت البروليتاريا هي الأقوى، وهذا ليس بالأمر الباعث على الدهشة بما أن الثقل التوعوي للطبقة العاملة في ألمانيا أهم بكثير مما هو في البلدان الأخرى، ومن هذه الأهمية جاء دورها في الثورة.

فلنقارن بين الأهمية النسبية لكل من البروليتاريا الروسية والألمانية. ففي ألمانيا يوجد اثنان وعشرون مليون أجير من بين خمسة وستين مليون ساكن.

وفي روسيا ومن بين مائة وخمسين مليوناً من السكان كان يوجد على أقصى تقدير بين ثمانية وتسعة ملايين بروليتاري بما في ذلك العمال الفلاحيون. إن المقارنة بين هذين الرقمين تدفعنا إلى التفكير في أن دوراً قيادياً يجب أن يعود إلى البروليتاريا في الثورة الألمانية، فإذا كانت البروليتاريا الروسية قد عرفت في بلاد فلاحية ذي نسبة ضعيفة من السكان المدنيين كيف تلعب دوراً قيادياً ذا أهمية قصوى فما بالك بالدور الذي كان على البروليتاريا الألمانية أن تلعبه؟ لكنها اتبعت خطأً خاطئاً ما زال حتى اللحظة الراهنة يمثل سبب مأساة الثورة الألمانية.

لقد انطلقت قبل الثورة ببضعة أيام محادثات بين ممثلي النقابات العمالية والأعراف في ألمانيا وانتهت يوم 15 نوفمبر باتفاق دخل حيز التاريخ تحت إسم «Arbeits gemein schaft» وهذه الكلمة الألمانية صعبة الترجمة لكن يمكن أن نترجمها تقريباً بمصطلح «الوفاق الطبقي» وتحت هذه التسمية أنشئت منظمة متناصفة مكوّنة من أعراف وعمال لفض كل المسائل الاجتماعية، وكان على هذه اللجنة أن تحافظ على كل أسس الامبراطورية الألمانية في حين تفككها العام.

وقد كان الاصلاحيون يولون أهمية كبرى لهذا الاتفاق وحسب العادة الألمانية فإنهم لم يتأخروا عن أن يجدوا له أسساً فلسفية، فظهرت فلسفة تناصفية، فلسفة تدعو إلى التسيير المتناصف لكل الحياة السياسية والاقتصادية للبلاد وإلى مشاركة متساوية للعمال والأعراف في الإدارة، إلا أن الفلسفة شيء والحياة شيء آخر فمن

المستحيل اقامة تسيير مشترك في الصناعة، فكل هذه اللجان المتنافسة التي لا تعدو أن تكون إلا التعبير السياسية عن تحوّل القوى الذي حدث في صلب الجماهير العمالية أثناء الثورة لعبت بادیء ذي بدء دورا محافظا، لأنها أدركت الوضعية في ظرف معين فاعتبرت ذلك وضعاً نهائياً نافية بذلك أي تغيير لاحق في ميزان القوى.

وهذا كان يعني شلّ التطوّر اللاحق للثورة، ففيم يتمثل مدلول الثورة؟ لنأخذ الثورة الروسية. إنها تعني تحولا سريعا لميزان القوى الطبقيّة وصراعا شديدا احتدادا وتقدما سريعا للوعي الطبقي وهي تشبه في ذلك ازدياد سرعة انحدار الحجرة كلما اقتربت من الأرض وبذلك يتحقق الانسجام الطبقي بقوة مضاعفة كل لحظة.

وأثناء الفترات الثورية تتخفف الجماهير البروليتارية وتتعلم بسرعة مبادئ الصراع الطبقي ومن هذه الوجهة فإن يوم ثورة يساوي سنوات عديدة من التطور المنتظم في المنظمات العمالية، وتتضاعف التناقضات الطبقيّة وتنمو بدرجة تزداد ارتفاعا شيئا فشيئا وتقود الى تركز القوى الطبقيّة.

إن ميزان القوى المتصارعة يتعدل دوما ولكن إذا ارتبطنا بالوضعية المسجلة في الطور الأول من الثورة فإن ذلك يعني المراجعة في نفس المكان.

وهذه المراجعة هي ما قام به الاصلاحيون ببراعة كبيرة جعلت الطبقة العاملة الألمانية لم تتمكن إلى حد الآن من التخلص من هذه الوضعية المتألفة التي وضعوها فيها.

وقد تلقت اللجان المتنافسة موافقة أصحاب رؤوس الأموال اذ شرح أحد أرمق المشغلين الدكتور رينهاردت Reinhardt الذي يدير أهم اتحاد للأعراف برينانو وستفلي Rhénano - Westphalie المجمع لنقابات الفحم والحديد أسباب إمضاء هذا الاتفاق المتناصف في اجتماع مشغلين كما يلي : «لو لم نعقد هذا الاتفاق فإن كل ركائز المجتمع كانت ستنهار، فهذا الاتفاق يمكننا من كبح القوى العفوية القادرة فعلا على تحطيم الانتاج والنظام».

فماذا تعني هذه الكلمات للمسؤول عن منظمة كبيرة للأعراف؟ علينا أن نتذكر تصريحات مماثلة أدلى بها زعماء نقابات أعراف النسيج والمعادن في روسيا



عشية أيام نوفمبر 1917 ولنستخلص منها النتيجة اللازمة، يمكن القول، وهذه قناعة الأعراف الراسخة، إن النقابات قد أنقذت النظام والانتاج وفائض القيمة وكل النظام الرأسمالي إلا أن المناضلين النقابيين الاصلاحيين رأوا في كل ذلك انتصارا للطبقة العاملة. ومما لا شك فيه أن الوضعية الجديدة يمكن أن ينظر إليها فعلا على أنها انتصار اذا قورنت بما كانت عليه قبل 9 نوفمبر عندما كانت القبضة الحديدية لليدندورف Ludendorf وهندنبورغ Hindenbourg تسحق كلّ محاولة للمقاومة العمالية، لكن اذا اعتبرنا الامكانيات الموضوعية لقوة الطبقة العاملة الألمانية فإن نتيجة هذا الاتفاق هي تخنيط كل الحركة في لحظة من لحظات الثورة.

ومن المعلوم أن الثورة الألمانية ابتدأت بحكومة عمالية وهو مطلب طرحه الآن في كل البلدان، وقد شكّل هذه الحكومة اشتراكيون ديمقراطيون ومستقلون في حين أبعدت الأحزاب البورجوازية، إلا أن هذه الحكومة «أبدعت» في حكمها حتى أنها لم تتأخر عن تسليم سلطاتها الى البورجوازية فلم تعد منذ ذلك الوقت إلا مجرد ذيل للأحزاب البرجوازية. كان الاصلاحيون يعتقدون أنه بإمكانهم تعزيز أنفسهم بواسطة بعض الاصلاحات واستعمال القدرات التنظيمية للبورجوازية وما لها من قوى أخرى بغية ترقية البنية الاقتصادية والسياسية للبلاد نحو درجة أرفع ثم يضيفون خطوة أخرى إلى الأمام وهكذا دواليك. تلك هي أوهام الحركة النسياسية والنقابية في ألمانيا اذ كانت تتصور إدخال تحويلات على النظام الاجتماعي تدريجيا وفي شكل تصاعدي فيتم ذلك على المستوى الاقتصادي بتكوين لجان متنافسة وعلى المستوى السياسي بتشكيل حكومة ائتلافية.

وخلال جدال دار مع الاشتراكيين الديمقراطيين أثناء ندوة فرنكفورت (مارس 1923) قارنتُ بين التكتيك الشيوعي والتكتيك الاصلاحى بواسطة مثالين طارحا المسألة من وجهة نظر مصالح الاشتراكيين الديمقراطيين أنفسهم فقلت لهم : «لو كانت الاشتراكية الديمقراطية الألمانية قد احتلت في بداية الحرب موقعا أميا فما هي النتائج التي كانت ستنتج عن ذلك من وجهة نظر وطنية؟».

«لننس لحظة وجهة النظر الأممية، فحتى لو اندلعت الحرب فإنها كانت تنتهي بسرعة لأن قيوم الثاني (Guillaume II) لم يكن بإمكانه مواصلتها ضد ارادة النقابات، وكان من الطبع ألا توجد معاهدة فرساي (Versailles) بدون الحرب

اذن من وجهة نظر ملائمة الهدف يكون موقفكم الأممي قد انقذ ملايين الناس من ناحية ويكون قد منع إمكانية عقد معاهدة فرساي (Versailles) من ناحية أخرى». وهناك مثال آخر طرح أيضا من وجهة نظر وطنية «لنفترض أن الاشتراكية الديمقراطية الألمانية والنقابات الألمانية لم تتصرف، أثناء سلم برست (Brest)، كعبيد لهندنبورغ (Hindenburg) وليدندورف (Ludendorf) ولكنها تحركت بقوة (اضرابات، سابوطاج، للاحتجاج على سلم النهب المفروضة على السوفييات) ففرضت على حكومتها عقد سلم ديمقراطية حقا فإن جهة البلدان المتحالفة ستكون حينئذ قد انحلت انحلالا كليا وسريعا : فتنقذ ألمانيا من معاهدة فرساي (Versailles)».

وهكذا فالاشتراكيون — الوطنيون هم في آخر الأمر ألد الأعداء لوطنهم، فحتى من وجهة نظر عملية صرف فإن تكتيك الإصلاحيين، خلافا للنتائج التي كانوا ينتظرونها منه قاد الى النقيض محطما بذلك البلاد والصناعة ودافعا الطبقة العاملة الى حالة من الضيق والشدة. فضلا عن ذلك فقد أثبتت الأحداث التاريخية إثباتا كاملا صحة تكتيكنا في حين فقدت ألمانيا استقلالها الاقتصادي والسياسي فقدانا تما بعد ندوة لندن (Londres) وبقبولها مخطط دافيس (Dawes)، وأنقد تكتيك الحكومة البلشفية روسيا السوفياتية، بعد أن حوّل فعلا الحرب الامبريالية الى حرب أهلية بذلك البلاد من الخراب ومن الانحلال والاستغلال الرأسمالي. ووحدت نفسيهما البورجوازياتان الأنقلو — أمريكية والفرنسية اللتان تعاملان الشعب الألماني بنفس العنجهية التي تعاملات بها وخوش افريقيا الوسطى، عاجزتين عن فرض قوانينهما على روسيا السوفياتية ففرض عليهما الاعتراف بالحكومة البلشفية ومعاملتها على قدم المساواة.

## تكتيك الاصلاحيين في بلدان الوفاق.

لقد طبق تكتيك الاصلاحيين أيضا في البلدان المتحالفة إلا أن اصلاحيي هذه البلدان اتخذوا وجهة مخالفة للحلفاء كانوا يقولون : لناضل من أجل «المبادئ الأبدية» و«السلم الأبدية» وكانوا يهتفون به فوق كل سطح عال.

أية سلم أبدية يزعمون؟ لقد حصل فعلا عشرة ملايين من القتلى في الحرب على السلم الأبدية.

أما ما يتعلق بالأحياء فلم يعرف العالم قطّ مثل هذه الحمى العسكريّة والامبريالية إلّا بعد انتصار «الحق» على «القوة».

وقد فتحت، غداة الحرب، نفس هذه «السلم الأبدية» أغرب وأهم صفحة في الاصلاحية الوفاقية، فالنقابات الاصلاحية كما ذكر سابقا، كانت قاعدة الحرب وأسسها وكانت تنتظر بفارغ الصبر نهاية الحرب اذ كانوا يرددون : «يكون كل شيء ملكا لنا حالما تنتهي الحرب» إلّا أنه مع نهاية الحرب تحتم إعداد معاهدة السلم وقد كان المسؤولون النقاويون هم أيضا يودون المشاركة في هذا العمل إلّا أنهم أفهموا أن الزمن الذي كان يحق لهم فيه الدخول من الباب العريض قد ولّى بدون رجعة ومن الآن فصاعدا عليهم أن يستعملوا الباب الخلفي.

وكان رجال الحكم يدركون جيدا خطر حركة نقابية تزداد قوة يوما بعد يوم.

## إعلان «المبادئ الأدبية»

لقد كنا نتحدثنا كثيرا أثناء الحرب عن «جمعية الأمم» عن جمعية حقيقية للأمم فنشر ويلسن (Wilson) نقاطه الأربع عشرة التي أصبحت شيئا شبيها بالوصايا الأربع عشرة عند الأغبياء الاصلاحيين والسلمويين.

وإن لم تعط الفرصة للاصلاحيين للمشاركة في الندوات الدبلوماسية فقد أتحيت لهم هذه الفرصة على الأقل للعمل على دراسة أجزاء من المعاهدة، فزعماء نقاويون أمثال قمبرس (Gompers) وجوهو (Jouhaux) وأبلتون (Appleton) كانوا مساعدي اللجنة التي اهتمت بالقضايا العالمية للشغل وبيعت هيكل متخصص في فض كافة المسائل المتعلقة بالشغل. وأفرد فصل خاص لهذه المسائل في معاهدة السلم.

وستدخل معاهدة فرساي (Versailles) التاريخ كوثيقة من أغرب الوثائق التي صنعها هوى الانسان، إذ ابتداء فصلها الثالث عشر بهذه الكلمات : «يجب ألا يكون الشغل بضاعة». ستندھشون بدون شك من وجود مثل هذا البند الاشتراكي في معاهدة فرساي وستساءلون كيف خضع كليمنسو (Clémenceau) والليويد جورج (Lloyd George) وأرلندوا (Orlando) لمثل هذه الكلمات ذلك أن السياسيين الأوروبيين لا يخشون الكلمات وهم مستعدون

لامضاء أي شيء، أما أصحاب هذا الفصل الثالث عشر الشهير فهم طبعاً المغفلون الاصلاحيون الذين أضفوا هذا الكلام المعسول على المعاهدة، إلا أن الليود جورج (Lloyd George) وكليمنسو (Clémenceau) كانا يُدركان جيداً أن النقطة المركزية لا تكمن هناك فتنفيذ معاهدة فرساي كان يتوقف على الرجال المالكين لقوة السلاح.

وفي نفس الوقت الذي أمضيت فيه معاهدة فرساي تقدم ملهمها الرئيس كليمنسو (Clémenceau) بهذه الجملة التي لا تعدم أهمية والتي راح بونكري (Poincaré) يطبقها : «هناك في أوروبا عشرون مليون ألماني يزيدون عن الحاجة»، وهذا يعني أنه يجب تخفيض السكان الألمان من خمسة وستين إلى خمسة وأربعين مليون ساكن وهناك طرق عديدة لتحقيق ذلك. فسلم فرساي كانت تهدف اذن الى تجريد ألمانيا من عشرين مليون ساكن إلا أنه وفي نفس الوقت كانت تعلن «مبادئ أبدية» مثل «يجب ألا يكون الشغل بضاعة» و«على العدل أن ينتصر» وكانت نتيجة الفصل الثالث عشر الذي يعتبر «أحسن أجزاء معاهدة فرساي» حسب تعبير أحد الاصلاحيين ظهور المكتب الدولي للشغل لدى جمعية الأمم. فجمعية الأمم هي تجمع البلدان المنتصرة حيث يعود التأثير الأكبر للأقوى، ففي السياسة العالمية لا تلعب الكلمة أي دور، فالقوة هي كل شيء، فالتجمع المنتصر يرى أنه من الضروري بعث مكتب دولي للشغل يكون هدفه إقرار «العدالة» بين العمل ورأس المال.

## ندوة واشنطن

نُظِم المكتب الدولي للشغل حسب الطريقة الآتية : التأمّت في أكتوبر 1919 ندوة واشنطن دعي إليها ممثلو النقابات واتحادات الأعراف والحكومات التي هي كما هو معلوم «محايدة» تجاه العمال والأعراف. فالبرجوازية والاصلاحيون يريدون أن يتحدثوا كثيراً عن تشريع بعيد عن كل روح طبقية... الخ وأن يثبتوا جذير بالمدح أسطورة حياد الحكومات، والتقارير التي قدمتها أُممية أمستردام اشتملت على صفحات كثيرة ذُكرت فيها الانتصارات التي أحرزتها أُممية أمستردام في ندوة واشنطن.

لقد تبنت ندوة واشنطن برنامج اصلاحات اجتماعية وخاصة يوم عمل بثمان

ساعات إجباري، والغريب هو موافقة ممثلي الحكومات «المحايدة» عن طيب خاطر على هذا البرنامج أثناء التصويت، فقد كانت منظمات البلدان التي أصبح فيها يوم العمل بثمانى ساعات مكسبا للعمال تلح على إقحامه الوجوبي في كل البلدان، وطبعاً فقد دعمت ذلك بعدد الاعتبارات الانسانية لأنه ومنذ دائماً كان حبّ البشر قاعدة العمل الاجتماعي للأعراف والحكومات أو ليس كذلك! وقد نوقش التنافس ومسألة غلاء المعيشة مناقشة مفصلة وأثير جدل طويل مع ممثلي الحكومة اليابانية الذين أرادوا أن يثبتوا أن خصوصيات تنفرد بها اليابان تفرض على العمال اثنتي عشرة ساعة عمل يوميا. وفي هذه الحالة فإنّ الأنصار الأشدّ تحمسا ليوم عمل بثمانى ساعات لم يكونوا ممثلي المنظمات العمالية بل أصحاب رأس المال الانقليز والفرنسيين لانشغالهم بمسألة المنافسة وبصفة عامة فإن ممثلي الأعراف والحكومات البورجوازية في ندوة واشنطن بدؤوا متفهمين للاتجاهات الاصلاحية، فالزعماء الاصلاحيون كانوا يفسرون هذا الحدث بلياقهم وتكثيكتهم الذي هو غاية في الدقة والملاءمة للظروف، وقد بين هذا الشرح مرة أخرى جهلهم المطلق بحركية الصراع الاجتماعي، فالبورجوازية كانت تبدي الارتياح لا لأنها مقتنعة بضرورة الاصلاحات الاجتماعية ولكنها تحشى فقدان المزيد نتيجة التطرف فكل هذا النجاح الظاهري للاشتراكية — الاصلاحية يفسر هكذا بالخوف من الثورة الذي يسيطر على البورجوازية.

## المكتب الدولي للشغل

وبعد الموافقة على برنامج الاصلاحات الاجتماعية بعثت ندوة واشنطن المكتب الدولي للشغل المتكون من ستة ممثلين للعمال وستة ممثلين للأعراف (وبين قوسين لقد أعطتهم ندوة واشنطن فرصة لبعث أمتيتهم) وإثني عشر ممثلا عن الحكومات الانقليزية والفرنسية والتشكسلوفاكية والبولونية وغيرها، ويمكن تقييم هذا الانتصار الباهر للاصلاحيين اذ لم تنوب المنظمات العمالية إلا ستة ممثلين على أربعة وعشرين وقد دفع الاصلاحيون ألبرت توماس (Albert Thomas) فعين مديرا لهذه المؤسسة المرموقة.. إن الطبقة العاملة للعالم كله لها أن تهتدأ، فإن المكتب الدولي للشغل سيسهر على مصالح البروليتاريا لأن على رأسه ألبرت توماس البطل الثوري المحنك!

سؤالان يطرحان حول المكتب الدولي للشغل : أولا لماذا رأت البورجوازية أنه من الضروري إخراج هذه الكوميديا؟ ثانيا ما هو موقف الجماهير العمالية من هذا الانجاز «الثوري»؟ لقد كانت البورجوازية تسعى الى أن تجعل لنفسها صمام أمان، فوجب دوما ترك منفذ للبخار حتى لا يفجر الرجل. لقد أدركت البورجوازية جيدا بعد الحرب ضرورة إيجاد متنفسات اجتماعية وإلا فان الطاقة العمالية المتراكمة ستفجر كل النظام الرأسمالي، سيما والانفجار سبق أن دوى في الشرق، فالثورة الروسية كانت حدثا ذا دلالة ينبغي أن يذكره الاستراتيجيون البورجوازيون.

وهكذا فرضت على البورجوازية تنازلات واستطاع الاصلاحيون أن يقولوا للعمال : «ألم تروا أنه بفضل تكتيكنا فرض عليهم تقديم تنازلات لفائدتنا، وتحصلنا على أشياء بدوننا كانت ستكلف خسائر باهظة»، وقد تنازلت البورجوازية من جانبها قائلة إنه من المستحسن التضحية بالقليل حتى لا نخسر الكل. والآفاق التي انفتحت أمام ممثلي البورجوازية تتمثل تقريبا في ما يلي : «إذا حافظنا على النظام السياسي والاقتصادي فليس هناك ما هو أيسر من استرجاع ما نقدمه الآن عندما نُهددُ الجماهير» وعلينا أن نقول إن كليمنسو (Clémenceau) في ظرف بعضة أشهر وبسرعة عجيبة كان قد جعل مجلسي النواب والشيوخ يصادقان على قانون الثماني ساعات فعليه أن يبين أن فرنسا المنتصرة كانت تقدم امتيازات حقيقية للطبقة العاملة مجازاة لها على الخسائر الكبيرة التي تكبدتها أثناء الحرب.

وأتاح ذلك للاصلاحيين أن يقولوا للعمال : «ألا ترون أنه بفضل تكتيكنا قدمت البورجوازية تنازلات. لقد حققنا نتائج لو كانت في ظروف أخرى لما تحققت إلا بالنضال الذي قد يكلفنا خسائر جسيمة ويسبب لنا ضحايا عديدة».

فما هي انعكاسات هذه «الانجازات» الاصلاحية على الجماهير؟ ولماذا اقتفت هذه الجماهير أثر الاصلاحيين في المرحلة الأولى لِمَا بعد الحرب؟ لما انتهت الحرب كانت الطبقة العاملة تتقد حقدًا وحيوية إلا أنها لم تكن راغبة في النضال، وكانت الحرب قد أحدثت اعياء كبيرا، وما الثورة إلا حرب أهلية تقتضي ضغطا جديدا للطاقة وإراقة جديدة للدماء وكان ذلك يفرع الجماهير الكبيرة التي أملت في تحقيق الوعود الموعودة وظنت أنها تستطيع أن تحقق شيئا فعليا بدون تضحيات

جديدة، كل هذه الأحداث مجمعة دفعت الجماهير الى السير في الطريق التي رسمتها البورجوازية والاصلاحيون.

لقد كان من مصلحة البورجوازية غداة الحرب أن تزرع الأوهام الاصلاحية عند الجماهير التي كانت تشعر برغبة في اجتناب كل نزاع وكان الاصلاحيون يقولون للعمال : «فلنجنب تجرع هذه الكأس» وهم يشيرون بأصابعهم الى روسيا حيث جرت الثورة سلسلة طويلة من الالام والنزاعات.

تلك هي الأسباب التي حددت في البداية هذا الانتشار للسياسة الاصلاحية وأكسبتها الى حدّ ما تعاطف الجماهير العمالية في المنظمات التي أنشأتها البورجوازية الليبرالية باتفاق مع المسيرين الاصلاحيين.

الجامعة النقاية الأمية  
(أمية أمستردام)



## المنظمات النقابية الأمية

نمر الى دراسة النزاعات الحالية في صلب الحركة النقابية الأمية. ولكي ندرس الصراع القائم في الحركة النقابية العالمية، سنتفحص المنظمات الأمية الموجودة والخصوصيات المميزة للحركة النقابية الأمية على اختلاف أنماطها.

ونجد من بينها المنظمات التالية : الجامعة النقابية الأمية (ومقرها أمستردام) وتسعا وعشرين جامعة أممية للمهن والصناعات (المعادن، النسيج، البناء، الملابس، الحلاقين، صانعي القبعات وغيرهم...) وهي سياسيا منخرطة في أممية أمستردام. كما نجد من ناحية أخرى الأممية النقابية الحمراء وخمس عشرة لجنة أممية للدعاية.

وبالإضافة الى هاتين الهيئتين الأميتين أممية أمستردام والأممية النقابية الحمراء، اللتين تجمعان الحركة النقابية أفقيا وعموديا عبر الجامعات الأممية للصناعة واللجان الأممية للدعاية، توجد أيضا «الجمعية الأممية للعمال». وقد يبدو انطلاقا من هذه التسمية أن الأمر جدي، ولكن الحقيقة أن هذه الأممية لا تحتوي إلا على مجموعات فوضوية — نقابية بسيطة، وتوجد في فرنسا وإيطاليا وألمانيا.

وعلاوة على هذه الأمميات التي تضم بصفة مجملة كل التيارات التي تبرز في الحركة العمالية، ظهرت محاولة لبعث «أممية للعمال الكاثوليكين». فألقيت محاضرات عالمية كاثوليكية تداولت بعض المسائل التي تهم العمال الكاثوليكين في كل البلدان. وقد عكست كل هذه التجمعات الأممية الانقسامات السياسية والنقابية في الحركة العمالية العالمية.

## تكوّن أُمّية أمستردام.

فلنبدأ بدراسة المنظمات المذكورة حسب الترتيب الذي أشرنا إليه، وقد اعتبرنا في ذلك قواها وتركيبها وخططها والمناهج التي تستعملها لحل هذا المشكل أو ذلك.

تكونت أُمّية أمستردام بعد نهاية الحرب، فقد وقعت محاولات أثناء الحرب تدعو إلى انعقاد ندوة دولية واضطلعت النقابات الهولندية والسويسرية بهذه المبادرة. إلا أنها كانت تصطدم في كل مرة بمقاومة نقابات البلدان المتحاربة ولذلك لم تنعقد هذه الندوة.

على أنه في سنة 1917 انعقدت في بارن ندوة دعت إليها النقابات المحايدة، ولم يشارك فيها ممثلو نقابات البلدان المتحالفة لأن الحرب ما تزال قائمة. لكن بعد انتهاء الحرب انعقدت ندوة عالمية في فيفري 1919 في بارن بمساعدة نقابات البلدان المحايدة. ولم تترك هذه الندوة أثرا كبيرا ولكن ما تبقى منها يدل على أن همّها الأول كان تحديد مسؤوليات الحرب، فقد تقمص ممثلو البلدان «المتحالفة» دور الديبلوماسيين الوطنيين وأرادوا بكل قواهم أن ينتزعوا من الممثلين النقابيين لألمانيا والنمسا اعترافا بذنب هذين البلدين وبإدانة الخطة التي ابتعتها منذ سنين طويلة. ولم تنته الندوة تقريبا إلى نتيجة باستثناء القرار الداعي إلى انعقاد المؤتمر الأُمّي في جويلية سنة 1919 بأمستردام الذي ستنبثق عنه بالتحديد أُمّية أمستردام.

## المؤتمر الأول لأُمّية أمستردام

ما هي المسائل التي بتّ فيها المؤتمر الأول؟ وبصورة عامة ما هي الخطوط المميزة لهذا المؤتمر؟

لنعط الكلمة للأمسترداميين أنفسهم فما من أحد يستطيع أن يقدح في مدى محبتهم واجلالهم لمنظمتهم.

وفيما يلي ما نقرأه في الوثائق الرسمية التي قدمتها أُمّية أمستردام بمؤتمر روما في أبريل سنة 1922 : «رغم إن الوحدة توطدت بين ممثلي نقابات مختلفة ظلت إلى عهد قريب في علاقة عدااء فإن المؤتمر لم يسفر عن نتائج جدّ مرضية. فتكاد

تتجلى في كل نقطة وبشدة الصدمات التي اذكت بصورة مفتعلة أثناء الحرب. ففي كل يوم تقريبا، كان المؤتمر يشهد بروز صراعات وقد بذلت مجهودات كبيرة للوصول الى الاجماع».

هذا هو إذن نص الوثيقة الرسمية، وقد خفف من حدة الحقيقة فيها الأمانة الرسميون السابقون Ex officio لأمية أمستردام.

فكان المؤتمر الأول لأمية أمستردام شبيها باجتماع وطنيين موتورين يسعى كل واحد منهم إلى أن يثبت أن وطنه ليس له ما يؤاخذ عليه فيما يخص الحرب وبالتالي فإن موقف الزعماء النقابيين للبلدان المعنية جدير بموافقة عمال الأمم الأخرى جميعا. وقد بلغ ممثلو «الحلفاء» التهديد التالي إلى نقابيين ألمانيا والنمسا : عليهم أن يعترفوا في بيان رسمي بأن ألمانيا هي المسؤولة عن الحرب وبأن ممارسات النقابات الألمانية إزاء البروليتاريا البلجيكية كانت ممارسات ظالمة ومتعسفة.

وليس من العسير تصور الانطباع الذي تركه كل ذلك في الوطنيين الاشتراكيين الألمان الواثقين من صحة وجهة نظرهم شأن الفرنسيين. لقد كان شرط الحلفاء هذا يحمل طابع التهديد : فلن يتم ضم الألمان ولا النمساويين إلى الأمية قبل قبول ذلك الشرط وتنفيذه.

ثم بعد مداولات طويلة وتحركات ومنازعات وطنية غاية في الحدة بمحتواها أكثر مما بشكلها، أدلى الألماني ساسنباخ Sassenbach بما معناه : أن النقابات الألمانية ما انفكت تعترف بأن بلجيكا قد تعرضت الى مظلمة كبيرة. وقد كانت النقابات الألمانية مقتنعة بأن ألمانيا كانت تخوض حربا دفاعية ولولا ذلك لأدانت هاته الحرب ولكان رد فعلها ردا قويا وحازما. وبعد أن أشار ساسنباخ إلى أن الإعلام المنقوص كان السبب الأصلي فيما حدث من أخطاء أنهى بيانه كما يلي : «ان كل ما وقع إنما وقع من أجل خدمة المصالح الحيوية للشعب الألماني ولكن دون أن تكون هناك نية لإرتكاب المظالم إزاء عمال البلدان الأخرى ولا إنتهاك الالتزامات الدولية». إن هذه الصيغة تتسم بضبابية شديدة لكنها قد أرضت سياسيا ومعنويا الاشتراكيين الوطنيين في فرنسا وبلجيكا وانقلترا والولايات المتحدة. وقد تبنى المؤتمر بعد بيان ساسنباخ اللائحة التالية : «بما أن مهمة المؤتمر الأساسية هي إعادة تكوين الأمية النقابية حتى لا تقع من جديد أحداث مثل تلك التي وقعت قبل الحرب وأثناءها،

فإن المؤتمر بعد استماعه الى بيان ممثلي الوفد الألماني يسجل الاعتذارات التي قدمت ويمرّ الى جدول الأعمال».

وقد كان همُّ النقيابين الحلفاء قبل كل شيء أن يتلقوا من الألمان ادانة ذاتية رسمية. وقد استعملوا تلك الخطة وهي نفسها التي استعملت في ندوة الديبلوماسية الألمية التي أجبر أثناءها الديبلوماسيون الألمان على الاعتراف بأخطاء ألمانيا. وقد كان الفارق الوحيد بينهم وبين ديبلوماسي الوفاق أن هؤلاء قد رفعوا كل كلفة فقد قدموا للألمان معاهدة فرساي في صيغتها النهائية قائلين : «امضوا».

وأحدث بيان ساسنباخ على حذره الشديد عاصفة من الاحتجاجات والامتناع في صنوف نقابيي النمسا وألمانيا. وبمجرد عودة ساسنباخ شجبت المركزية النقابية الألمانية البيان الذي كان قد أدلى به وهكذا فإن الشجب اعترف بها من ناحية وأنكرها رسميا من ناحية أخرى، إنها لوسيلة جد طريفة في حسم هذا الاشكال.

إن هذه الوقائع لكافية لتوضيح تركيبة ألمية أمستردام وللحكم مسبقا على التطورات اللاحقة لهذه المنظمة. وبالفعل فقد ضمنت ألمية أمستردام النفوذ للماضلين النقيابين الحلفاء، الوفاقيين، كما حدث أثناء ذلك المؤتمر نفسه مشهد غريب، ذلك أن لوجيان كان القائد المعترف به للحركة النقابية، لكن انتصار الحلفاء الذي تسبب في خراب ألمانيا تسبب أيضا في سقوط لوجيان. فقد انتخب رئيس آخر مكانه ولم يستند للوجيان ولو منصب نائب الرئيس رغم أن ألمانيا تفوق كل البلدان الأخرى بكثرة عدد منخرطيه.

وأدرك ممثلو النقابات النسماوية جيدا أهمية هذا الحدث السياسي، فقد وعوا أن من كانوا حلفاء لألمانيا على جبهة القتال عليهم أن يظلوا حلفاء لها أيضا في امستردام. لهذا جاء ردّ فعلهم مماثلا لرد رفاقهم إزاء موقف الممثلين «الوفاقيين» : ورفض الزعيم النسماوي هيبار منصب نيابة الرئاسة عندما عرضت عليه قائلا : «لقد تحملنا المعاناة حتى الآن جنبا لجنب مع رفاقنا الألمان ولا نقبل اليوم أن نعامل معاملة خاصة».

إن هذه الأحداث كلها لمثيرة للاستغراب ليس فقط على مستوى هيكلية ألمية أمستردام، بل إن تلك الأحداث كانت ميزتها الخاصة في سنواتها اللاحقة التي

اتسمت بالعداوات والمنازعات الوطنية — القومية. ولقد أدت هذه الخصائص نفسها في الفترة الراهنة الى انحلال المنظمات التي حاولت استعادة تقاليد الحركة العمالية العالمية لما قبل الحرب.

وبالنظر الى كل القرارات التي اتخذها هذا المؤتمر الأول لا يوجد على ما أظن ما هو أهم من بعض البنود الخاصة التي اتخذت بشأن مكتب الشغل الدولي، فقد كانت هناك حقاً محاولات لاثارة موضوع المَشْرَكة (Socialisation) إذ أن المعروف أن سنة 1919 كانت سنة ازدهار أفكار الاشتراكيين ومشاريعهم، لكن هذه المسائل قد عولجت بإسهاب أكبر أثناء ندوة لندن سنة 1920.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : لماذا وجب بكل تأكيد خلق أُمّية ما دامت ولادتها تصطدم بمثل هذه العراقيل بما أن العداوات القومية كانت على أشدها؟ لقد كان يجب كما ترون أن تنشأ أُمّية حتى لا يفقد القادة النقابيون أي نوع من أنواع النفوذ على العمال. وكان يجب أن تؤسس هذه الأُمّية لأنه غداة الحرب. أحست جماهير العمال الأكثر تخلفا بالحاجة الى منظمة أُمّية قادرة على أن تمنع تكرار الآلام السابقة أي قادرة على أن تتلافى الحرب. ولو اعترض الزعماء على تكوين هيئة عمالية أُمّية لكانوا أبعدوا عن الحركة.

فتأسيس الأُمّية قد أملت اذن غريزة البقاء عند الوطنيين والقوميين النقابيين كما أملاه غرض التأثير على المستوى العالمي في المنظمات المنبثقة عن معاهدة فرساي.

## مؤتمر لندن

التأم المؤتمر الموالي لأُمّية أمستردام من 23 إلى 27 نوفمبر 1920 بلندن، وأهم ما كان يشغله هو أن يبرز للعالم كله أن الأمر ليس نزاعاً بين موسكو وأمستردام بل هو نزاع بين موسكو ولندن.

ولقد حضر المؤتمر ممثلون عن الاتحادات النقابية بانقلترا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا والسويد والنرويج وسويسرا والدانمك وتشيكوسلوفاكيا واللوكسمبورغ وإسبانيا وكندا. وقد كان جدول أعمال المؤتمر كما يلي : الوضع العالمي وموقف الجامعة النقابية العالمية، المسألة النقدية، المشتركة، الرد على تهجمات موسكو، يوم العمل بثنائي ساعات ومسائل أخرى كثيرة أقل أهمية.

ونسجل هنا حادثا غريبا وقع أثناء المؤتمر، فقد قدمت شكوى ضد النقابات الروسية باسم «145.000 عامل منظمين من منطقة أورال» ووجد زعماء المؤتمر متعة في تنظيم حملة موجهة ضدنا. ولهذا الغرض — فقد سمحوا لبعض المناشفة والاشتراكيين الثوريين الذين كانوا قد فروا من روسيا إثر هزيمة كولتشاك — أن يشتركوا في المؤتمر بصفة «ممثلين» لبروليتاريا الأورال.

فمن كان هؤلاء الممثلون؟ ان المدعين ستروميلو ومنشيكوف وتلنتشين وجاندار موف الذين كانوا يعملون في نقابات الأورال في الوقت الذي كان فيه كولتشاك يسيطر على المنطقة، قد قدموا الى انقلترا في أبريل 1920 وقدموا شكواهم الى اللجنة البرلمانية لمؤتمر التريدينيونية. وعندما سأل توماس وهو رئيس اللجنة البرلمانية عن العناصر التي تعتمد عليها في نهاية الأمر الحكومة الروسية أجابه ستروميلو إن البلاشفة قد توصلوا أن يقسموا العمال الى مجموعتين : مجموعة العمال المختصين ومجموعة العمال غير المختصين، وهم يعتمدون على العمال غير المختصين ويشيرونهم ضد الآخرين، إن هذه الأجوبة توضح لنا جيدا من هم ممثلو بروليتاريا الأورال.

وقد حرر الشكوى كل من ستروميلو وجندرموف (ذي الأسم الرمزي) وآخرون غيرهما. ودفعتهم صفاقتهم الى الجزم بأن 145.000 عامل من الأورال كانوا يعبرون عن أسفهم لعدم استطاعتهم حضور مؤتمر لندن لأن الحكومة الروسية منعتهم من ذلك.

ثم ان النقاش الذي دار حول تقرير الرئاسة قد أظهر في الحال أن الاصلاحيين المجتمعين في المؤتمر أرادوا بتشدقهم الكلامي الثوري أن يخفوا توجهاتهم البورجوازية. وقد تبنى المؤتمر لائحة تحتج على الرجعية المتنامية وعلى الحرب ضد روسيا والحصار المضروب على هذا البلد، فوجه نداء إلى عمال كل البلدان من أجل النضال بكل ما أوتوا من قوى ووسائل ضد الرجعية التي تهدد وجود النقابات نفسه. وقد دعا المؤتمر الى شن اضراب عمالي عام ودعا العمال الى مواجهة الحرب بالحرب والى النضال في سبيل بناء مجتمع جديد. وصودق على هذا القرار بالاجماع ما عدا نواب إيطاليا والنرويج.

وقد صادق المؤتمر إضافة الى ذلك على لائحة حول الحركة السلمية وقد

صيغت كما يلي : «ويشير المؤتمر النقابي الأممي الى أنه يجب أن لا يقع الخلط بين نضال البروليتاريا العالمية المنظم ضد الحرب وبين الحركة السلمية للبرجوازية الرأسمالية، ويدين المؤتمر كل المبادرات الحربية التي تهدف الى أن تفرض على الشعوب أنماطا سياسية واقتصادية، إن العمال يريدون سلما نهائية ودائمة بين الشعوب ويرفضون أن يغرر بهم وأن يقاتلوا في سبيل الحرب (الأخيرة). أو ما (قبل الأخيرة)».

والآن بعد أن انتهت الحرب وسقط عشرات الملايين من الرجال في ساحات القتال يدعو أولئك السادة الذين ساندوا الحرب ومجدوها بصلف لا حد له الى مواجهة الحرب بالحرب. فهؤلاء السادة يناهضون دوما الحرب زمن السلم في حين أنهم دائما يناهضون السلم زمن الحرب. إن جوهر وبقية الوطنية الاشتراكيين «المغرر» بهم قد وجدوا في قراءة هذا القرار تسلية كبيرة.

وقد انكشفت ديماغوجية النواب أثناء المؤتمر في لوائح أخرى كثيرة، وهكذا فإن لائحة مدة العمل اليومي تلاحظ أن بلدانا قليلة فقط يتطابق فيها قانون ساعات العمل مع قرارات ندوة واشنطن، وأن الحكومات وأصحاب رأس المال في جل البلدان لا يحاولون فحسب منع هذه القرارات من أن تنفذ بل يبدلون كل ما في استطاعتهم لاطالة يوم العمل أكثر من ثماني ساعات وهي المدة المعمول بها بعد. ويدعوة المؤتمر كل المنظمات الى النضال من أجل يوم عمل بثمان ساعات، يقر بأنه يمنع عن المكتب الدولي للشغل كل مساعدة من جانب المنظمات النقابية في صورة عدم التصديق على قرارات واشنطن في أجل محدد. وبعد هذا التهديد اقترح المؤتمر في لائحة حول المواد الأولية على المكتب الدولي للشغل أن يعدّ في أقرب أجل مشروعا لبعث مكتب عالمي لتوزيع المواد الأولية. وقد جاء في اللائحة أنه ينبغي تحقيق المشروع المعني في أقرب وقت ممكن لكي «يتم توزيع المواد الأولية والمنتجات الغذائية حسب قواعد العدل».

ثم ان المؤتمر اهتم بالمشكلة النقدية، وكان جوهر أمين س.ج.ت الفرنسية هو الذي عرض هذه المسألة، وقد ألحّ القرار الذي اقترحه على ضرورة القروض العالمية وإلغاء ديون الحرب، كما أبدى اعتراضا على إصدار الأوراق النقدية باستمرار واقترح تخطيطا للتداول النقدي العادي ونصح باجراءات عديدة تستطيع أن تتخذها عصابة الأمم أو أي تنظيم يبعث خصيصا الى هذا الغرض.

وقد احتج ممثل النقابات البلجيكية على إلغاء ديون الحرب، إذ أن بورجوازية بلاده تتوقع منها أرباحا لذلك يرى أن ديون الحرب يجب أن تسدد.

أما بقية النواب الذين يمثلون البلدان الأكثر تداينا فإنهم صوتوا لفائدة اقتراح جوهر وبقية محاولة الايطالي بيوزي لتنقيح قرار جوهر بدون أية نتيجة. وكان الايطاليون لا يريدون فقط إلغاء ديون الحرب بل إلغاء كل الالتزامات التي فرضتها القوى المنتصرة أو المهزومة. لكن ممثلي البلدان المنتصرة تصدوا لذلك على أن قرار جوهر هو الذي تم قبوله في النهاية دون أي تغيير.

وبعد أن «حسم» المؤتمر في المسألة المالية وقع الاهتمام بمسألة المشتركة فبنى المؤتمر لائحة حول مشتركة وسائل الانتاج، تدين نظام الانتاج الرأسمالي الذي يتخدم مصالح بعض الأفراد على حساب المجتمع. ويقر المؤتمر بأن «العمال لا يريدون أن ينتجوا حتى لا تتضخم ثروات الرأسماليين» ويلفت نظر العمال الى أن النصيب الأكبر من الثروات يجب أن يعود إلى المجتمع وأن الزيادة في الانتاجية لا يمكن أن تتم إلا مع نظام الانتاج الجديد عندما يزول ربح أصحاب رأس المال وتتعذر على الرأسماليين إمكانية استغلال نزعة العمال الى الترفيع من انتاجية عملهم، ونتيجة لذلك فقد اقتضى المؤتمر خدمة لمصالح المجتمع مشتركة الأرض ووسائل الانتاج وكذلك وبصفة فورية المناجم ووسائل النقل وبصفة عامة كل فروع الانتاج التي يمكن فيها تحقيق المشتركة تبعا لنظر البروليتاريا في بلد من البلدان ويجب ألا يفهم نشر المشتركة على أنه نقل المراقبة على الانتاج الى الدولة الرأسمالية بل على أنه مشاركة فعالة للمجتمع في هذه المراقبة عن طريق النقابات ونوابها. أما عن فروع الصناعة التي لا تخضع للمشاركة فورا فإن المؤتمر يطالب بأن تتم المشتركة داخلها في وقت لاحق بالتمهيد لذلك عبر حصول العمال المنظمين على حقهم في مراقبة انتاجهم.

ويدعو المؤتمر العمال في كافة أنحاء العالم الى أن يستغلوا قوتهم السياسية والاقتصادية لبلوغ هذا الهدف، ويقترح على الجامعة النقابية العالمية أن تتفق مع سكرتاريات نقابات عمال المناجم والبحارة وعمال آخرين في النقل من أجل تحقيق هذه المهمة بكل الوسائل المتاحة لهم.

وهذه اللائحة الخالية من كل معنى والتي لا توضح اطلاقا الوسائل التي



تجعلها قابلة للتطبيق ولا تنبس بكلمة حول ضرورة سعي البروليتاريا الى الفوز بالحكم لتكون لها القدرة على تحقيق المشتركة، هذه اللائحة التي تقترح «المشركة ضمن أطر الدولة الرأسمالية» قد صودق عليها بالاجماع.

وزيادة على هذه القرارات الشهيرة فقد انتخب المؤتمر لجنة لتعد الرد على «تهجمات موسكو» ويحتج هذا القرار على «الشتائم» الصادرة عن لينين ورادم وزينو فياف وبيلاكون من ناحية والصادرة عن تومسكي ولوزفوسكي وروسمار وشابلين من ناحية أخرى (والمراد بذلك البيان الذي نشرته الأمية الشيوعية والأمية النقاوية الحمراء بمناسبة انعقاد مؤتمر أممية أمستردام بلندن). وصرح المؤتمر أن «التهجمات لم تقم بها البروليتاريا الروسية» وأنها مشحونة بالنفاق المكشوف وبالرغبة في تدمير المنظمات النقاوية في كل البلدان. وتذكر اللائحة بأن أممية أمستردام «تخرب الحكومات التي تساند الثورة المضادة وتؤكد تضامنها مع «البروليتاريا الروسية الثورية في آلامها ونضالها» وتدعو هؤلاء البروليتاريين الى الانضمام الى الجامعة النقاوية الأمية وضم طاقاتهم النضالية الى جهود البروليتاريين الآخرين ليكونوا جهة واحدة تناضل ضد الرجعية العالمية». كل ذلك يقوله المؤتمر لبروليتاريا روسيا رغما عن «المفترين» لأنه يرى «أن هذه البروليتاريا قد غلطها زعماءها فيما يتصل بالأمية النقاوية». وقد اقترح الوفد الفرنسي أن يلحقوا القرار باقتراح مفاده أن «ما من حكومة بما في ذلك الحكومة الشيوعية تستطيع أن تسير أيضا الأمية النقاوية كما حدث ذلك في موسكو».

أما فيما يتعلق بمشكلة الرور (Ruhr) فإن المندوب لوجيان يدعو «لا للشفقة ولكن لسلامة تفكير» البروليتاريا العالمية. فهو يدين سياسة القوة عند الحلفاء ويؤكد على أن الافتراء الأساسي حول أهداف الحرب الكونية كان الاقرار بأن الحرب تواصل تقويض النزعة العسكرية، فأجاب توماس بأنه يرى أن «الأجدر بالخطيب السابق أن يوجه هذه الملاحظة الى الرفاق الفرنسيين لأن فرنسا بالرغم من الخسائر التي سببتها لها الحرب تتماهى في أغراضها الامبريالية» ولكن وبشكل عام فإن توماس يوافق لوجيان في تصريحه بأن أكثر افتراء عرفته الانسانية هو التأكيد على أن هدف الحرب كان ضرب النزعة العسكرية.

ثم أنهى المؤتمر أشغاله بانتخاب مكتب جديد وعين توماس زعيم السكك الحديدية الانكليزية على رأس الأمية. لكن رؤساء أممية أمستردام أولئك المساكين

ليس لهم حظ حقا. فما أن انتخب توماس في منصب الرئيس حتى اجتمع عمال السكك بنيوبورت وصادقوا على لائحة تدين سلوك توماس لأنه خان العمال أثناء إضراب عمال المناجم وتطالب بطرده من نقابة السكك الحديدية.

## مؤتمر روما

دعي المؤتمر الى الانعقاد في ايطاليا من 20 الى 22 أبريل سنة 1922 للقيام باستعراض نقابي في الوقت الذي كانت فيه ندوة جنوة بصدد الانعقاد. فأعدت أمية امستردام ندوة في جنوة ووجهت باسم هذه الندوة النقابية بيانا الى اللجنة الاقتصادية لندوة جنوة وقد نقل هذا البيان جوهر وداراقونا وأوديقاست ومرتنز أنفسهم. كان زعماء امستردام قد اقترحوا في بيانهم ما يلي :

1 — حل مشكلة المواد الأولية والأزمة النقدية

2 — وضع حدّ للامبريالية الاقتصادية (!).

3 — تطوير الامكانيات الاقتصادية لكل البلدان.

4 — توفير السلم عن طريق نزع السلاح.

5 — ضمان المكاسب العمالية لا سيما يوم العمل بثمانى ساعات.

وقد استقبلت اللجنة الاقتصادية ممثلي أمية امستردام ولكن بيانهم لم يؤثر بتاتا في رجال الدولة المجتمعين بجينيف والذين كانوا يعلمون جيدا، أن أهمية امستردام رغم كل بياناتها لا تفكر قط في الخروج عن طاعة البورجوازية، وما إن تسلم الامسترداميون البيان حتى انطلقوا الى روما حيث شرعوا في إعداد بيانات جديدة، وكانت المسائل الأساسية في جدول الأعمال هي : إعادة بناء أوروبا (جوهو)، الرجعية، السياسة الدولية ويوم العمل بثمانى ساعات (مرتانز). فاستمع المؤتمر الى اعادة ما قيل في البيان الذي وجه الى ممثلي اللجنة الاقتصادية لندوة جنوة وقد كان جوهر يلحّ في تحليله على أنه اذا لم يقع تبني المشاريع التي قدمها فإن أوروبا بأسرها قد تتحمل العواقب. فما من فكرة جديدة وقع الادلاء بها في هذا المؤتمر اذ أن كل ما قيل هو اجترار لما جاء في مؤتمر لندن في نوفمبر 1920، نفس الجمل حول رابطة الأمم، نفس الكلمات حول التعاون بين الشعوب مع فارق وحيد هو أن مصطلح صراع الطبقات قد اختفى تماما من كل الخطب والووائح.

أما فيما يتعلق بمسائل الرجعية العالمية ويوم العمل بثنائي ساعات فإن المؤتمر قد سجل إنه لم يقع الوفاء بأي التزام إزاء الطبقة العاملة بالعكس فإن الكثير مما حققه العمال أصبحت تهدده من جديد هيمنة الأعراف وأن القوى الرجعية تحاول بشتى الوسائل أن تقوض المنظمات البروليتارية، والتشريع الاجتماعي وتطبيق يوم العمل بثنائي ساعات.

فما هي مقترحات المؤتمر بعد أن لاحظ هجمة الرأسمال على كل جبهات المعركة؟

لقد احتج المؤتمر احتجاجا شديدا للهجة على كل أشكال الرجعية وأنواعها. وصرح أن كل التحسينات التي حصل عليها العمال يجب ألا تعتبر بمثابة الصدقة وهو يدعو العاملين بالساعد والفكر الى الاتحاد في منظماتهم المهنية ويدعو عمال روسيا وأمريكا وآسيا كي ينضموا الى المنظمة الأممية الوحيدة للبروليتاريا. أما عن حماية العمال العاجلة وحماية حرياتهم الإجتماعية فان المؤتمر قرر أن مكتب أممية أمستردام سيتكفل بإعلام كل المنظمات الوطنية وفي الحالات الأكيدة سيتخذ اجراءات فعالة لمساندة الدول المهددة بالرجعية ماديا ومعنويا.

هذا كل ما في الأمر وعوض التدخل المناسب بنضال مجد ضد البورجوازية فلا ترفع إلا احتجاجات لفظية ولا يلوح الا بتهديدات غامضة في المستقبل مع ملازمة السلبية التامة في الحاضر. وبعد أن أدانوا الرجعية «أخلاقيا» شرعوا في «النضال» ضد الحرب ونحن نعلم أن في 15 و16 نوفمبر سنة 1921 وقعت دعوة في أمستردام لانعقاد ندوة ممثلي عمال المعادن والمناجم والنقل. وقد أوجبت هذه الندوة بعث اتحاد ثلاثي أممي من أجل مقاومة الحرب ولكن عندما طرح فيمان باعث هذه الندوة مشكلة تكوين الاتحاد الثلاثي بصفة ملموسة شرع النواب الواحد تلو الآخر يثبتون استحالة هذا الأمر بصفة مطلقة. وقد قال فرانك هودج : «تريدون بعث اتحاد ثلاثي ضد الحرب لكن التجربة علمتني أن مثل هذا التحالف لن يعطي النتائج المرجوة» وبعد أن عبر جميعهم عن نفس الفكرة وهي أن الاتحاد الثلاثي لن يستطيع الكفاح ضد الحرب أنشئت مع ذلك لجنة عهد إليها بمهمة الدعوة الى التحرك في حالة اندلاع نزاعات عالمية.

والسؤال الذي يطرح هو أي نداء للتحرك تستطيع لجنة أن توجهه وقد صرح

منظموها أنفسهم أن ليس هناك أي عمل ممكن في حالة اندلاع نزاع عالمي، وفي مؤتمر روما وبعد تقرير فيمان وخاصة بعد خطب توماس وديسمان وويليامس وغيرهم من الخطباء يمكن أن يلاحظ أن النواة المستقبلية لأمية أمستردام كانت جد متشككة إزاء العمليات الممكنة ولم تكن لها ثقة في إمكانية تطبيق ما اتخذ من قرارات أثناء المؤتمر. وهذا لن يمنع حتما المؤتمر من أن يقبل اللائحة التي تدعو كل المنظمات المنضوية في أمستردام الى القيام بدعاية قوية ونشطة بين العمال ضد نزعة العسكرية والى أن يشنوا الاضراب في حالة خطر اندلاع حرب وبدعوة من جامعة النقابات الأمية.

ويقول هذه اللائحة تعتبر أممية أمستردام أن مهمتها قد انتهت ولم تغب عن هذا المؤتمر المداخلات الموجهة ضد «الانشقاقين الروس» والاقتراحات المناقفة التي تدعو النقابات الروسية الى الدخول في منظمات امستردام. وقد قال توماس بالحرف الواحد إن هناك استعدادا لقبول العمال الروس ما عدا الناطقين بأسماء هؤلاء العمال. وأهم ظاهرة في مؤتمر روما أنه لم يتخذ أي موقف فيما يتعلق بالنضال الذي يقوده الوفد السوفييتي الروسي في ندوة جنوة. ان سادة امستردام تناولوا بالدرس كل المسائل إلا المسائل التي كانت مطروحة أمام أعينهم. وليس من قبيل الصدف أن الأمور سارت هكذا. فلو كان المؤتمر بحق قد التزم بمصالح البروليتاريا وليس بمصالح البيروقراطية النقابية المتعفنة لدافع بحماس شديد عن الوفد السوفييتي ولساند الاقتراحات التي قدمها في جنوة.

ولنترك تقييم هذا المؤتمر الى أحد المشاركين فيه، وهو رئيس النقابات النرويجية أول ليان وكان بصفة شكلية فقط عضوا بالحزب الشيوعي، كان بيروقراطيا نموذجيا وهو نفسه لم يقو على مناخ هذا المؤتمر وهذا ما جاء في تقريره الذي نشر في الاشتراكي الديمقراطي : الجريدة المركزية للحزب العمالي النرويجي.

«إن مؤتمر روما خيبة أمل كبيرة، وما كنت لأفترض أنه سيكون اصلاحيا الى هذه الدرجة وسليبا جدا في نتائجه. فلم يعط تعليمات ولا مخططات نضال للعمال في الظروف الراهنة. ولم يفعل المؤتمر إلا أن أوصى مكتب الشغل بجنيف بالقيام ببحوث احصائية مختلفة... الخ. لقد كان واضحا أن النواب المجتمعين لا ثقة لهم في قدرة منظماتهم المهنية وأنهم لن يصلوا الى تحقيق أي شيء لصالح البروليتاريا. لقد أقنعني هذا المؤتمر نهائيا أنه من المستحيل اصلاح أممية أمستردام.

فلانتخابات التي وقعت في المؤتمر دلالات واضحة جدا. ورغم أنه كان واضحا أمام الجميع أن من العار أن يكون توماس رئيسا ومع ذلك فقد تم وبكل أبهة انتخاب توماس وأعضاء آخرين في المكتب. فغادرت المؤتمر يومين قبل الاحتتام ورأسلت الى المكتب انني لا أرى جدوى من مواصلة العمل الجماعي واعتبر نفسي مجرد متفرج. وقد نشرت رسالتي هذه بعد أن غادرت المؤتمر. لقد كان نواب هذا المؤتمر في نظري ممثلين لبلدانهم أكثر مما هم ممثلون للطبقة العاملة.

وكان يمكن أن يلاحظ في مؤتمر أمستردام سنة 1919 ما يشبه الميل الى النضال أما في روما فلا أثر للرغبة في النضال، لذلك لم أستطع أن أفعل شيئا آخر سوى مغادرة المؤتمر مصرحا بأنه لم يبق لدى ما أقوم به ها هنا».

ليس هناك ما نضيفه الى هذه الخاصية ويجدر القول إن ليان الذي لم يبق لديه ما يقوم به سنة 1922 بين الاصلاحيين، ناور فيما بعد ولدة سنتين لكي يدخل مشكلة الأشباح الاصلاحية هذه، وبذلك فإن خاصية مؤتمر روما التي أصبغها عليه هو نفسه لم تزد إلا تطورا ورسوخا.

## مؤتمر فيانا

إن مؤتمر أممية أمستردام المنعقد بفيانا (جوان 1924) قد حدّد فترة جديدة لتطور هذه المنظمة. ورغم جدول الأعمال العادي والباهت وتكرر الاصلاحية المهذبة، فقد جرت في هذا المؤتمر بعض الأحداث التي تدل على أن الأمور ليست دائما هادئة في مملكة أمستردام.

حدث في مؤتمر فيانا أمر عجيب في تاريخ أممية أمستردام وهو أن نواب التريدينونية الانكليزية قاموا بتصريح ضد التكتيك القديم واقترحوا ربط علاقات مع النقابات الروسية والبروفتارن.

وقد كانت هناك اختلافات داخلية في أممية أمستردام توجد منذ مدة طويلة حول مسألتين :

الأولى حول حق أمميات الصناعة في قبول النقابات الثورية المنخرطة في البروفتارن.

والثانية حول العلاقات مع المجلس المركزي لنقابات الاتحاد.

وكان مكتب أممية أمستردام يطالب بأن تقاطع أمميات الصناعة النقابات الثورية، وبسبب هذا التكتيك وتكتيك ندوة النقل أيضا وجد فيمان نفسه مضطرا للاستقالة من مكتب جامعة النقابات الأممية، ثم دار النقاش حول استقلالية أمميات الصناعة وعلاقتها مع النقابات الروسية.

على أن المراد بذلك هو الاستقلالية السياسية وليس استقلالية التنظيم. أما الجناح اليساري فيرى أن يعاد تنظيم أممية أمستردام على أساس اعتبار أمميات الصناعة. لكن إعادة التنظيم هذه لن تتغير في شيء طابع أممية أمستردام إذ كان يجب اجتثاث الاصلاحية من قواعدها الوطنية، وقد أدرك جميعهم ذلك.

لذلك انتهى النقاش بانتصار جزئي للجناح اليساري، وتم قبول ثلاثة ممثلين عن أمميات الصناعة في رئاسة أممية أمستردام، ووقع فيما بعد تبني لائحة مرنة أولها فيمان على الوجه التالي :

«في صورة ما إذا ارتأت الاتحادات الأممية للصناعة لسبب اقتصادي أو غيره أن قبول النقابات السوفياتية أمر ضروري عندئذ فلن نرى مانعا من ذلك».

لم يكن أمام أممية أمستردام في الحالة التي كانت عليها من مخرج آخر : فهو يتلاءم مع موازين قوى الجناح اليميني والجناح اليساري، ولقد بُتَّ في المسألة بصفة صورية، إلا أن ذلك لم يكن الا تهدئة سطحية فقط، فلا رضي اليمين ولا اليسار وبقي النزاع قائما. وسيشتد هذا النزاع أكثر لأن المشكل مرتبط بالمقترح الانكليزي الذي يدعو الى الشروع في مفاوضات مع الجامعة العامة للعمل الروسية من أجل دخولها الى أممية أمستردام. وكان اعتراض الاصلاحيين على ذلك شديدا وقامت القيامة حول المسألة الروسية، ومرت مسألة المفاوضات أمام اللجنة فأُسفرت كالعادة عن زنجي أبيض، يعني لائحة كان عليها أن ترضي الجميع وألا ترضي أحدا. ورفضت اللجنة كما كان منتظرا المقترح الانكليزي وحتى لا تغضب ممثلي التريدينونية الانكليزية فقد قبلت لائحة اضافية فيها تأسف على أن النقابات السوفياتية برفضها الاعتراف بالقوانين الاساسية لأمية أمستردام تظل خارج هذا الاتحاد الأممي.

وجاء في هذه اللائحة : «أن المؤتمر يقترح على مكتب أممية أمستردام أن يتخذ اجراءات ليدخل ما استطاع الى ذلك سبيلا النقابات السوفياتية في الحركة الأممية،

دون أن يمسّ على كل حال من نفوذ (!) أُمّية أمستردام وذلك بالحفاظ على قوانينها الأساسية ولوائحها».

وهكذا انتهى الصراع حول القضية الووسية في مؤتمر فيانا، يعني حول تأسيس جهة موحّدة مع الجامعة العامة للعمل الروسية. ومنذ البداية بسط ممثلو التريدينونية الانقليزية القضية في اطار ضيق فعوض أن يرفعوا شعار وحدة الحركة المهنية واندماج الأُمّيتين الاثنتين فقد طالبوا بادخال النقابات الروسية في أُمّية أمستردام.

لكن الشعار لم يجلد قبولا مشجعاً، وقد تخلص الجناح اليميني من هذه المسألة بتهديد غامض، يبدو لنا اذن أن ليس هناك ما يدعو الى الابتهاج بهذا الانتصار ولم يكن ذلك إلّا رأينا نحن فقط.

أما ممثلو الجناح اليساري فقد كان لهم رأي مخالف جدا وقد عبر فيمان ازاء هذه اللائحة كما يلي : «كان أنصار التقارب يلحون على إيجاد حلول أكثر دقة وشمولا، لكن فلننتهج رغم ذلك لأننا توصلنا الى هذه النتائج»، واقترح على المؤتمر أن يسقط جملة «دون أن يمس من نفوذ أُمّية أمستردام»، فأجابه ساسنباخ قائلاً «سيبادر الى الأذهان اذا وقع تبني مقترح فيمان أن أُمّية أمستردام على استعداد لتبدأ المفاوضات مع النقابات السوفياتية مهما كانت الشروط، وفي الحقيقة فإن المفاوضات ليست ممكنة إلّا اذا أعطت النقابات السوفياتية ضمانات تبعد امكانية التقليل من نفوذ أُمّية أمستردام».

يتضح من ذلك أن الجناح اليميني على دراية بما يريد ويسعى الى تحقيق خطته في حين أن الجناح اليساري مستعد لأن يقبل التغيير الجديد للكلام والصياغة الجديد في التحرير من أجل تغيير في التكتيك، وهكذا فبعد خطبة ساسنباخ حول «الضمانات» التي تعيد الى الأذهان مذكرة ضمانات أصحاب البنوك الانقليزيين لم يعد هناك مجال لتوهم حصول تغيير جذري في سياسة أُمّية أمستردام وهي على تركيبها الحالية.

ولشدّ النقابات الانقليزية إلى أُمّية أمستردام فان بيرسال رئيس المجلس العام للتريدينونية الانقليزية تم انتخابه رئيساً وقد جاءت تركيبة المكتب والمجلس لمحاصرة كل انحراف ممكن من جانبه، وانتخب ليون جوهر صديق البورجوازية الفرنسية

والمدافع العنيد عن كتلة اليساريين نائب رئيس أول، فيما انتخب لمنصب نائب ثان للرئيس مرتينس وطني الوطن البلجيكي والمدافع عن رابطة الأمم ونظام التعريفات، أما النائب الثالث فهو لينار رئيس اتحاد النقابات الألمانية، وصديق ايرت ونوك، وأما الكتاب المنتخبون فهم : أودجيسست الزعيم القديم للجناح اليميني بأمستردام، ومن جانب ألمانيا : ساسنباخ وهو أكثر تيمناً من لينار ويراون عن الجناح اليساري للانقليز. وانتخب للمجلس الأعلى الى جانب بروملي وهيكس وهما من الجناح اليساري، الأشخاص الآتية أسماؤهم : ستنهويس عن بلجيكا وليكسمبورغ وهولندا، درقونا عن ايطاليا، وقرسمان عن ألمانيا وتيارل عن تشيكسلوفاكيا وجاسي عن المجر وجولسكي عن بولونيا.

وإننا لنتساءل من سيقود أمة أمستردام ما دام للمكتب والمجلس مثل هذه التركيبة، وإذا أخذ مقر الأمانة، وهو أمستردام بعين الاعتبار فإنه يتضح أن الاصلاحيين قد خططوا بدواء فألقوا المسؤولية السياسية على عاتق الانقليز وأبقوا لأنفسهم القيادة السياسية، وكان يوحد الى عهد غير بعيد تقسيم في العمل في أمانة أمستردام : فالانقليز يتصرفون أما الفرنسيون والالمان فهم الذين يحددون السياسة العالمية (رابطة الأمم، التعويضات، مخطط ديفس.. الخ) والالمان هم الذين يعدون وسائل مقاومة الشيوعيين محاولين تحويل أمانة أمستردام الى رابطة مناهضة للبلشفية، على أن هذا التوزيع القديم للأدوار لم يستطع أن يستمر وسقطت خطة جناح اليمين فقد تخطى الانقليز ولا سيما بيرسال الخط الذي رسمه لهم مسيرو الجناح اليميني، وأثارت مبادرات بيرسل رئيس أمانة أمستردام في علاقة بروسيا احتجاجا شديدا من قبل الجناح اليميني لأمانة أمستردام، فقد صرح هذا الجناح في فور ورات أن مداخلات بيرسال هي بكل بساطة «حمقاء».



الماضرة الرابعة  
تكتيك أمة أمستردام

## القضايا الأساسية

لننظر الآن في بعض المسائل دون أن نحترم هذه المرة الترتيب الزمني للمؤتمرات ولنبحث في نظرية أممية أمستردام وممارستها وكنتيجة لهذا البحث ستتجلى كذلك وجهة نظرنا الخاصة بنا. إن المسائل التي تشق حاليا الحركة العمالية العالمية هي الآتية : الموقف من معاهدة فرساي، التعويضات ومخطط ديفس، وسائل مقاومة الرجعية العالمية، الطرق العلمية لصد الهجمة الرأسمالية، العمل المناهض للفاشية، مقاومة خطر الحرب، الموقف من الثورة الروسية والسوفييات وأخيرا مسألة الجبهة الموحدة ووحدة الحركة النقابية العالمية.

تلك هي المسائل التي يمكن أن تساعدنا على رسم الخطوط المميزة لمختلف المنظمات النقابية العالمية.

## أممية أمستردام ومعاهدة فرساي

لقد سبق القول إن ممثلي نقابات البلدان المتحالفة قد شاركوا في تحرير الفصل 13 من معاهدة فرساي فهل يستطيع زعماء العمال هؤلاء أن يتحملوا أيضا مسؤولية كل ما جاء في معاهدة فرساي أم أنهم ليسوا بمسؤولين إلا عما أدخلوه في هذه المعاهدة؟ إن طرح المسألة بهذه الصيغة قد يكون قانونيا وليس سياسيا. فمعاهدة فرساي هي كل لا يتجزأ والأمر لا يتعلق بمعرفة من هو صاحب هذه الفقرة أو تلك من هذه الوثيقة بل يجب معرفة من يؤيد معاهدة فرساي وما تتكون هذه المعاهدة.

إن الأمر يتمثل، اذا نظرنا الى المعاهدة نظرة إجمالية، في البت في ذنب الامبراطوريات الوسطى وفي تقسيم النمسا وألمانيا تقسيما إقليميا ونزع مستعمراتها وتجريد ألمانيا من السلاح وحرمانها من مواردها الاقتصادية وتحميلها مساهمات جمة، وتحويلها اعتبارا لكل ذلك الى قوة ثانوية، فتحطيم أوروبا الوسطى وإقامة هيمنة الحلفاء ذلك هو مغزى معاهدة فرساي وإن الممثلين العماليين الذين بشكل أو بآخر وليسبب ما يدافعون أو دافعوا عن جزء من هذه الوثيقة يجدون أنفسهم قد ساندوا مجموعها وسنرى هذا عند الحديث عن التعويضات والموقف الذي اتخذته أُممية أمستردام من المعاهدة نستطيع أن نثبت كواقع سياسي، أن أُممية أمستردام وفروعها المختلفة، عبر جهاز ممثلها قد شاركت في إعداد بعض بنود معاهدة فرساي وساندته وما زالت تسانده، ولهذا الأمر اذن، كما نراه، أهمية في اللحظة الراهنة الى جانب أهميته التاريخية وفي الحقيقة فإن معاهدة فرساي لم تضعها أُممية أمستردام ولم توجد لها ولكنها ساهمت فيها بطريقة غير مباشرة بأن هيأت المناخ للأفكار التي يسرت قبولها لدى الجماهير العمالية، فأُممية أمستردام هي أحد دواليب الآلة الضخمة التي صنعتها البورجوازية لحشور دماغ الطبقة العاملة. لقد ساعدت أُممية أمستردام البورجوازية على أن تنقع الجماهير العمالية للبلدان المتحالفة بأن ترى في معاهدة فرساي انتصارا حقيقيا للثقافة والحضارة والقانون... الخ.

## التعويضات ومخطط ديفس (Dawes)

فما هي مسألة التعويضات في حقيقة الأمر؟ إن التعويضات تعني تسديد الخسائر وكذلك دفع مقابل عن الأضرار التي تسببت فيها الحرب، فمن يعوّض عن هذه الأضرار الحاصلة؟ إنهم طبعاً المذنبون الذين أثاروا الحرب، ذلك هو منطق الدبلوماسيين ومنطق فوش (Foch) والزعماء النقابيين للبلدان المتحالفة وبما أن ألمانيا والنمسا هما مذبذبان فيجب أن تدفعا الثمن وتعيدا بناء المناطق المخرّبة وبإيجاز عليهما أن يعيد أوروبا الى الحالة التي كانت عليها قبل الحرب وقد ظهر في بداية سنة 1923 عند ناشر ألماني كتاب ضخّم بعنوان : «تطور مسألة التعويضات» واشتمل هذا الكتاب على تصريحات الوزراء ورجال الدولة في بداية الحرب كما اشتمل على آفاق السلم الأبدية. ثم ذكرت النقاط 14 لولسن ومعاهدة فرساي ومسائل تعويضات الحلفاء. وقد انطبع سلوك الحلفاء انطباعا كبيرا بالأكاذيب

والصلف الى حدّ يبدو معه أنه على العميان أن يبصروا ذلك، ولكن ليس هناك أعمى أسوأ من الذي يرى ولكن لا يريد أن يبصر، فزعماء أمستردام قد أرادوا بكل ما أوتوا من قوة، أن يفرضوا على ألمانيا الاقرار بالذنب حتى يستطيعوا أن يقولوا للعمال وهم مرتاحو الضمير : «لقد اعترف الألمان فما عليهم إلا أن يدفعوا الثمن».

وكان المؤتمر الأول لأمية أمستردام قد اعترف بأن التعويضات التي فرضت على ألمانيا عادلة وضرورية وعلى الألمان أن يدفعوا الثمن وهذه الفكرة هي في صميم كل اللوائح الصادرة عن أمستردام. فاذ ينعقد اجتماع في أمستردام لتأسيس الأمية يتقرر على الألمان أن يعوضوا، ويتكرر نفس الموضوع في لندن وروما وكلما اجتمع مكتب الجامعة النقاية الأمية وتعرض للمسألة الفرنسية الألمانية ولكل هذه القضايا التي تجعل من أوروبا بركانا فإن أول ما يطرح هو التأكيد على حمل ألمانيا على أن تدفع الثمن وبدون عنف وبواسطة جهاز منظمة الأمم وهكذا دواليك.

لقد نحت أمية أمستردام دوما في مسألة التعويضات منحى وفاقيا (Ententiste) فلم يفرض على الألمان فقط الاعتراف النظري «بأنه من باب العدل أن تدفع ألمانيا الثمن بل طوب منهم القيام بمحاولات عملية تجاه حكومتهم لضمان الدفع المنتظم للمقادير المطلوبة والمعروف أن مسألة التعويضات هي أبعد ما تكون حاليا عن وضعية مريحة فألمانيا لا تستطيع أن تسدد مئات المليارات المطلوبة بها لأن هذا المقدار يتجاوز مواردها.

وسأكتفي بمثال حتى أعطي فكرة تجسد ما يمثله هذا المقدار فقد قام اقتصادي ألماني بعملية حسابية ورأى أن لو صرفت ألمانيا فقط نصف المقادير التي التهمت الحرب من أجل بناء سلمي لأمكن لكل أوروبا الوسطى أن تتحول الى حديقة نضرة ولكان في إمكان ناس الجيل اللاحق أن يشتغلوا أربع ساعات في اليوم.

وحين اختتام معاهدة فرساي كان الحديث يدور حول 400 مليار مارك. ذهب إلا أن هذا الرقم كان خياليا جدا الى حدّ أنه تحم تخفيضه شيئا فشيئا حتى أصبح في ماي 1921 يساوي 132 وهكذا فالبلغ النهائي للتعويضات، إضافة الى عدد هام من المواد والامتيازات الاقتصادية وغيرها.. انحصر في هذه المساهمة التي يُزعم أنها «متواضعة» إلا أنها مهولة في الواقع.

إن عجز ألمانيا عن تنفيذ الشروط التي فرضتها معاهدة فرساي أدى الى احتلال الرور (Ruhr) واحتداد الصراع الانكليزي الفرنسي وقد كان احتلال الرور بالنسبة إلى فرنسا عملية قليلة الجدوى من الناحية السياسية والاقتصادية وبدأ بنك فرنسا يتأرجح وتحم طلب مساعدة من البورصة الأمريكية وقد شدّ المليون الأمريكيان أزر فرنسا كما يشد الحبل المشنوق وقد تسرب الرأسمال الأمريكي باسطة نفوذه على أوروبا عبر أبواب الرور التي فتحتها فرنسا تلك هي الحكاية الواقعية لمخطط ديفس الذي يتمثل في أنه من أجل بعض التخفيفات على دفع التعويضات فرضت على ألمانيا مراقبة اقتصادية ومالية فرنسية — انكليزية — أمريكية تعود الهيمنة فيها الى النفوذ الأمريكي، وكنتيجة لمخطط ديفس تفقد ألمانيا ما تبقى لها من استقلالها السياسي والاقتصادي ولا يخفي أصحاب المخطط حتى ارادتهم في أن يُشعّلوا المانيا (أي العمال الألمانين) أكثر من غيرها، ومخطط ديفس يعني أيام عمل بـ 10 و 12 ساعة في ألمانيا وبالتالي فإن إطالة يوم العمل في البلدان الأخرى ستكون آلية، ومخطط ديفس يخضع الصناعة الألمانية القوية لمراقبة الرأسمال الأمريكي ويعني بعث جبهة موحدة للبورجوازية العالمية كلها تحت قيادة البورجوازية الأمريكية لمقاومة الثورة الألمانية القادمة والثورة الروسية الحالية ولكن، ماذا كان يفعل زعماء الجامعة النقابية العالمية بأستردام لما كان يفرض على ألمانيا هذه المساهمة الخيالية التي تتجاوز بكثير كل ثرواتها الوطنية؟ وفيما عدا احترازمات شفهية بحجة باسم «القانون الدولي» وجمعية الأمم وافق الأسترداميون دوما على هذه التعويضات. وقد اتخذوا نفس الموقف بالنسبة الى مخطط ديفس وتبنّى الاجتماع الموحد للأمية الثانية ولأمية أستردام لائحة ترى أنه رغم أن مخطط ديفس لم يخل من مساوئ فانه يظل الحل الأفضل الذي يمكن تصوره في الظروف الراهنة، وهكذا فإن أمية أستردام احتلت وما زالت تحتل موقفاً ينحصر في مساندة الحلفاء في أكثر المسائل خطورة وأهمية في السياسة العالمية المعاصرة وفي المسألة التي تشق العالم وتقود أوروبا الوسطى كلها الى الخراب. وتطالب جماعة أستردام عمال المانيا باصلاح الدمار الذي سببته الامبريالية الألمانية، وهم لا يجهلون أن هذه التعويضات، مقترنة بمخطط ديفس قد تكون نتيجتها تأييد استعباد العمال الألمان وزيادة تأزم وضعيتهم الاقتصادية. وما إن عُرف قرار لجنة الخبراء حتى اجتمعت اللجان التنفيذية للأمية الثانية وأمية أستردام (15 جويلية 1924) لاتخاذ موقف،

وحسب العادة فإن القرار المتبني يُذكر كل القرارات الأخرى التي اتخذتها في هذا الشأن الأُمميتان ويتمثل محتواها في الاكثار من «مهما يكن» و«لكن» و«إلا أن» ومع ذلك فمخطط الخبراء يحتوي على بعض المعطيات لحل المسألة إلا أنه.. «يبحث عن حل لمسألة التعويضات بطرق تحمل الطبقة العاملة الألمانية أعباء أكبر مما تحمله للطبقة الرأسمالية (أعباء متساوية، أمر عادل!) وتخضع سلك الحديد للدولة الألمانية لتأثير الرأسماليين الأجانب وتعلن الندوة أنه نظرا الى الاعتبارات المذكورة آنفا فإننا لا نستطيع أن نعتبر المخطط حلال لمسألة التعويضات طبقا لمطالب الأُممية النقاوية والاشتراكية».

وكما يبدو من النص فإن «إثقال الكاهل بطريقة غير متساوية» هو مناقض لمطالب الأُممية لذا يجب مراجعة المخطط؟ وهذا أمر غير وارد. فكل هذا الهذيان ضروري للنفس البروليتارية وهناك فقرة على حدة صالحة الجيوب البورجوازية جاء فيها : «لكن ورغم عيوب مخطط الخبراء ونقائصه فإن فشل هذه المحاولة لايجاد حل لمسألة التعويضات دون محاولة تقديم مخطط آخر أفضل قد يعقد الأزمة الأوروبية. وفي هذه الظروف فان انجاز مخطط الخبراء هو الحل الوحيد (!) الممكن للمسألة في الظرف الراهن».

فليس هناك ما هو أكثر بهتاناً ونفاقاً وحساسية من هذه التحاليل والتحفظات المساندة بشكل مطلق («انه الحل الوحيد الممكن للمسألة في الظرف الراهن») لمخطط الخبراء النهاب. وقد كانت ندوة لندن (سبتمبر 1924) خاضعة لسيطرة مرقن (Morgan) وعلى اثرها أصبح مسيرو أُممية أمستردام المدافعين عن مخطط ديفيس ونستطيع أن نسلمهم اذن، ولنا الحق في ذلك، معاوئي النهب واستعمار ألمانيا ومسؤولين عن تحويل الشعب الألماني الى حمالين. وما يجذر تسجيله هو سلوك الخدم الذي اتخذته الامسترداميون الألمان الذين أبدوا استعدادهم لبيع وطنهم العزيز جملة وتفصيلا قصد تكبيل الثورة الألمانية.

وإن هذا وحده لكاف لتقييم موقف امستردام من النضال العمالي وسأضيف قائلا : حتى ولو أُلغى كل ما كتب حول أُممية أمستردام أثناء حريق مثلا فإن المؤرخ المستقبلي قد يستطيع بعد مائة أو مائتي سنة أن يعطي لهذه الأُممية أثناء مرحلة الانحلال الرأسمالي الذي نعيشه مكانتها الحقيقية وقد تكفيه قراءة إحدى لوائح أمستردام حول مسألة التعويضات.

## نزع السلاح

لقد وقع خوض الحرب تحت شعار القضاء على النزعة العسكرية وقد كان رجالات السياسة بأوروبا وأمريكا وعدوا بالشروع في نزع السلاح حالما تخطم العسكرية البروسية وفي تخليص الشعوب من أكل أعباء الحرب التي كانت تثقل كواهلها قبل الحرب وأثناءها وإن الاصلاحيين على اختلاف تلوّناتهم واختلاف أنماطهم هم أول من روج أسطورة نزع السلاح وقد تحولوا الى أبواق دعاية للفكرة القائلة إن نزع السلاح ممكن في ظل النظام الرأسمالي وبصفة عامة فالاصلاحيون سعوا دوماً وأثناء الحرب الى تعظيم أهداف البورجوازية النبيلة إطلاقاً. وما ان انتصرت البلدان المتحالفة حتى بدا لها أنه آن الأوان لنزع السلاح وقد أحسّى الزعماء الاصلاحيون فكرة نزع السلاح السلمية بعد أن لأكوها وأعادوا لوكها سنين طويلة. يا لها من ثثرة، فما إن انتهت الحرب حتى تجنب زعماء السياسة العالمية ترك فكرة نزع السلاح اذ أرادوا أن يستغلوا الروح السلمية التي بثها الاصلاحيون بين الجماهير العمالية استغلالاً كبيراً، وقد تكونت لجنة تابعة لمنظمة الأمم تشاورت في أناة حول فوائد نزع السلاح وقد بذل الناطقون الرسمىون بأستخدام في هذه اللجنة مجهودات ليثبتوا للممثلين الحكوميين فائدة نزع السلاح مغربهم بأفاهه المشرقة.

لم تقترح قطّ أمية أمستردام ولا أي فرع من فروعها أي إجراء عملي لنزع السلام. فما من شيء قد يتجاوز برنامج جمعية الأمم وهذا يذكر بما قاله قولول (Gogol) في إحدى حكاياته وأظنها «أسياد الماضي» واصفاً بطلها بأن نظره لم يكن يتجاوز السياج الذي كان يحيط ببيته الصغير.

وعندما أقرأ خطاب «أصدقائنا» الامسترداميين وخاصة ما يتعلق منها بالأسلحة أتذكر ذلك السياج القروي.

ان السياق نحو التسلح ما زال متواصلاً والمنافسات بين المتحالفين القدامى تحتدّ والاعداد لحرب جديدة على قدم وساق أرضاً وبحراً وجواً، وفي مثل هذه الظروف فإن التركيز على نزع السلاح في لجان جمعية الأمم هو كأن تزين للذئب محاسن التغذية بالنبات فحسب. فكيف نفسر سلوك الاصلاحيين هذا؟ وهل هو من قبيل الخور؟ وماذا تعيننا حماقة هذا الزعيم أو ذاك وغشاه السياسي؟ ان الحُقم

لا يخلو منهم العالم، ومن المؤسف أن ايدولوجية نزع السلاح المسالمة تعكس من خلال «جمعية الأمم» التي هي أداة الامبريالية المسلحة من قدمها حتى أذنيها، التأثير الثابت للبورجوازية في الطبقة العاملة، وهذه الايدولوجية تترجم الآمال المهمة لجزء من البروليتاريا يريد أن يعتقد في امكانية تصلب الحرب دون الالتجاء الى الصراع الطبقي والاتجاه الى كل القوى الثورية ودون تحمل كل المعاناة التي تحملها معها الثورة الاجتماعية، وهي تترجم الآمال السرابية للنزعة السلمية التي ما زالت مترسخة لدى الطبقة الشغيلة، فجريمة زعماء أمستردام هي تغذية الأوهام السلمية المضرة عوض تخطيطها، وبالنسبة الى الاصلاحيين فان مسألة نزع السلاح ليست مسألة ثورية وطبقية لأنهم يعالجونها من وجهة نظر السلم البورجوازية.

إن كل المطلعين على حقيقة الوضع يعرفون أن نزع السلاح الارادي أمر مستحيل لأنه لا يمكن أن يتم إلا باستعمال العنف وهنا يطرح احتمالان : الأول هو ما حققه الفرنسيون والانتقليز تجاه الالمان بعد معاهدة فرساي : إنه نزع السلاح الامبريالي فالبورجوازية تجرد خصومها من السلاح وتسليح نفسها استعدادا للمعارك القادمة، والشكل الآخر من نزع السلاح هو منهجنا : لقد جردنا البورجوازية من الأسلحة وسلحنا العمال.

ان الجريمة السياسية لمسيرى أممية أمستردام لا تتمثل فقد في أنهم يحملون رابطة الأمم النظر في مسألة نزع السلاح بل أيضا في أنهم يعالجون مسألة التسليح ونزع السلاح من وجهة نظر بورجوازية بحتة.

نحن نهاض الحرب وبالتالي نتشبث بنزع السلاح إلا أن النظرية الاصلاحية لنزع السلاح هي غريبة عنا كل الغرابة لأن المهام والأشكال والطرق التي تتضمنها تسير في اتجاه معاكس للطريقة التي نتعرض بها لهذه المسألة ونفضها بها. إن الاعتقاد في نزع السلاح عبر الخدمات «الجليلة» التي تقدمها جمعية الأمم وبواسطة قانون دولي لتسوية النزاعات حماقة ويا لها من حماقة عاطفية! فما أضيق الأفق السياسي أمام المسيرين الاصلاحيين!

لقد عرف البرلمان الانكليزي أخيرا نقاشات ذات أهمية دارت حول نزع السلاح وقد طرح هذه المسألة ماكدونالد زعيم الحزب العمالي بحثا عن وسائل تحمي الامبراطورية البريطانية بواسطة نزع السلاح وقد أجابه مدير الديوان بلدوين



(Baldwin) قائلا : « ان طرح مسألة نزع السلاح غير وارد حاليا لأن طبيعة الانسان المعاصر وغرائزه تفرض عليه الصراع، إنها غريزة الفهر وقد تكون هذه الغريزة منحت للانسان كي يضمن العيش الكريم للأمة بواسطة الصراع» وهكذا يدخل على الصيغة القديمة والطريقة : «الانسان ذئب للإنسان» تحوير اذ أعلن مرشد السياسة الانكليزية «أن الانسان نمر للإنسان» إلا أن زعماء الأُمّة الثانية وأمستردام ما فتئوا يقترحون على باعثي جمعية الأمم إلقاء الاسلحة عن طواعية. فلتبحث اذن عن إنسان يعادي نفسه ويقبل أن يلقي السلاح عندما تسمح الرشاشات والمدفعية بتحقيق نتائج اقتصادية في مثل هذه الروعة والواقعية!

ويمكن للمرء أن يتصور انطلاقا من التسعة أشهر التي تولى فيها الحكم حزب العمل الانكليزي كيف يحقق مسؤولو الأُمّة الثانية نزع السلاح، لمدة تسعة أشهر وعلى رأس امبراطورية عظمى تواجد مسؤولو أمستردام والأُمّة الثانية : وأصبح توماس الرئيس الأسبق لأُمّة أمستردام وزير المستعمرات في حين كان جمع من الاشتراكيين يسير وزارات مختلفة، أما ماكدونالد المسالم والوردي الممتنع فكان على رأس الحكومة، وكان الشروع في نزع السلاح يبدو ممكنا إلا أن مسيري الأُمّة الثانية وأُمّة أمستردام لم يتجردوا من السلاح إلا معنويا فقط وخلافا لذلك ومع تولي الحزب العمالي الحكم بدأت مرحلة جديدة من التّير الامبريالي ومرحلة جديدة من اضطهاد الشعوب المستعمرة. لقد شرعت الحكومة العمالية في بناء مدرعات جديدة وفي تطوير الأسطول الجوي، وعن استفسار حول هذا الموضوع في البرلمان كانت الاجابة لاثقة بالاصلاحيين : إن إنشاء بواخر يوفر العمل لعدد من العاطلين، وعلى الأسطول الجوي أن يتطور حتى لا نبقي في مؤخرة جيراننا (المقصود فرنسا)، وبعبارات النزعة السلمية ونزع السلاح كانت الحكومة العمالية تمارس السياسة الانكليزية القديمة القومية والامبريالية التي لم تكن - مبدئيا - تثير أية معارضة حتى من قبل المحافظين.

في الحقيقة لقد أطلق ماكدونالد العنان لخياله المسالم في الاجتماع الأخير لرابطة الأمم بجنيف (سبتمبر 1924) وقد حضره بعض مسيري أُمّة أمستردام الذين كانوا يشاركون في هذه البطولة السلمية والخطابية ولكي نقيم هذه الندوة تقيما حقيقيا يكفي أن نلاحظ أنه حضر، بوصفه بطلا، الاشتراكي اليساري القديم والمرتد وسياسي فرنسا الأكثر خداعا أرستيد بريند (Aristide Briand) ولستناس (Le stinnes) الفرنسي الذي اغتنى من الحرب ... الخ.

وقد كان لديهم مساعد رئيس أممية أمستردام ليون جوهر الملائكي المسلم.

لقد أُلقيت عديد الخطب الرنانة إلا أن محتواها كان يدعو الى المحافظة على الوضع كما كان عليه سابقا وكل بلد سيواصل تسلحه قدر المستطاع.

وهناك حدث يبين أن الأوهام السلمية ما زالت راسخة في صفوف الجماهير العمالية فقد بعث مؤتمر هول (Hull) للتريدنيونية الانغليزية الذي كان اليسار يسيطر عليه آل ماكدونالد الموجود بجنيف ببرقية يحثي فيها تحركه السلمي «ونضاله من أجل السلم» وما يزيد في حدة هذا الحدث أن هذه البرقية أرسلت يومين بعد أن صُوِّت المدافع الانغليزية في كَتْتون ضد حكومة سان يات سان (Sun-Yat-Sen) الشعبية والثورية.

هكذا يلاحظ أن التسلح الاصلاحى يساوي التسلح البورجوازي مساواة تامة.

## مسألة مقاومة الحرب

ترتبط مسألة مقاومة الحرب ارتباطا متينا بمسألة نزع السلاح، فالأكيد أن أمستردام تناهض الحرب ولكن كيف يتم تجنبها ومقاومتها؟ اذا تأملنا القرارات التي اتخذتها أمستردام بشأن هذا الموضوع سنقع من جديد على هذا الكلام «ان النزاعات التي يثيرها شعب ضد شعب آخر يجب أن تُفصَّ عبر ندوات عالمية وبواسطة القانون الدولي» وللنظر في كل النزاعات يجب بعث ما يشبه محكمة عليا مترتبة من رجال محايدين كل الحياد، وستكون هذه المؤسسة العليا قادرة، كما يُؤكدُ، على التوفيق بين الصراعات القائمة ووضع حدّ للطموحات العدوانية لعدد البلدان، ويمكن تقييم تكتيك أمستردام المعادي للحرب عبر المؤتمر الأممي للمسلم (لاهاي — ديسمبر 1922) وقد استدعي أيضا ممثلو النقابات الروسية للادلاء بأرائهم حول خطر الحرب وطرق مقاومته.

وقد لفتت تركيبة المؤتمر الاجتماعية النظر، فعلاوة على ممثلي الأممية II و 2/ I و ممثلي الجامعة النقابية العالمية بأمستردام وكل الأمناء المهنيين الأميين حضر أيضا نواب كل أنواع الجمعيات السلمية التي تأسست بعد الحرب، فالمسلمون البورجوازيون هم مسلمو زمن السلم وهو موقف ليس بمحرج جدّا وأثناء الحرب تكون الأغلبية الساحقة منهم في علاقة طيبة بحكومات بلدانهم وقد كانوا يُدّكون الأحقاد القومية وينادون بالصبر ومواصلة «النضال حتى النهاية» وقد وصل الى

لاهاي ممثلو منظمات مثل «من أجل جمعية الأمم» و«رابطة الدفاع عن حقوق الانسان والمواطن» و«جمعية اقامة العلاقات الودية بين مختلف الكنائس» و«اتحاد القساوسة والاشتراكيين» وعدد آخر من الجمعيات والاتحادات الممثلة، وإيجاز كل النماذج البشرية، وكان على ممثلي النقابات الروسية أن يحتكوا بهذا الجمهور المتنوع.

وقد وقع الحديث أثناء هذا المؤتمر عن ضرورة الدعاية وتربية الشباب ضد الحرب عبر غدوات وأفلام... الخ. إني أهوى السينما ولكن عندما ينبري النواب القادمون من كل البلدان لمقاومة الحرب عشية احتلال الرور متحدثين عن السينما وتربية الشباب كنشاط فعال وحيد في هذا الميدان فهذا عمل لا يخدم «مقاومة الحرب» فاللوائح المصادق عليها كانت تهدف الى ارضاء الجميع. تصوروا ستائة شخصي متجمعين ينعمون بمنتهى السلام الروحي. والـ «Gemütlich» كما يقول الألمان. فمن تخامره الجرأة على تكدير صفو هذا الحفل؟

انه من الصعب بل من الصعب جدًا إرضاء الروس وما لا شك فيه أننا بطبعنا البلشفي قد أحدثنا نشازا في هذه السمفونية وفي هذه اللائحة، لائحة الطمأنينة الخالصة والموجهة أساسا الى جمعية الأمم ها نحن نكتشف نوعا من التهديد (وقد كانت مسألة محل نزاع) : على كل المنظمات أن تشن الاضراب العام في حالة خطر حرب. وقد قلنا «ما الفائدة من كل هذا الهذر، وما الفائدة من الوعد بالاضراب العام في مستقبل بعيد، فمن الأفضل أن نقوم به الآن وبما أنكم مستعدون لشنه فإننا نقترح عليكم، لمواجهة احتلال الرور الوشيك، أن تشنوا الاضراب يوم 15 جانفي (لقد كنا في يوم 17 ديسمبر) فاذا أنجزنا هذا التحرك فإن الاحتلال لن يتم لأن الامبريالية الفرنسية وحلفاء فرنسا سيدركون أن عمال كل البلدان يشكلون قوة يقرأ لها ألف حساب» وقد أحدث مقترح الاضراب الذي حُدِّدَ له تاريخ معين — 15 جانفي — اضطرابا في المؤتمر لأن الحديث عن الاضراب بشكل غامض شيء وتحديد تاريخ انجازه بدقة شيء آخر وقد رُفِضَتْ طبعا لائحتنا.

ومقترحاتنا الأخرى الخالية، والحق يقال، من كل طابع سينماتوغرافي (تحيض معاد للتسلح في صلب الفرق البيضاء والملونة وغيرها) لم تُرْفَضْ فقط بل استحقت معارضة رئيس المؤتمر وأمية أمستردام وتوماس بطل «الجمعة الأسود» الشهير اذ

أعلن «أننا لا نقبل التحريض في صلب الجيش» وبالطبع اذا رفض ذلك فإن الشيء الوحيد الذي بقي هو السينما، وكما ينبغي التأكيد، السينما البورجوازية. واذا رفض الصراع الطبقي فلن يكون هناك شيء أفضل من اختراع اللوائح السلمية، وسأمتنع عن ذكر تفاصيل أعمال هذا المؤتمر الشهير على جميع مستوياته وكل مؤتمرات أمستردام تشبه سيدان قوقول : فهي «ممتعة من جميع النواحي» أو هي بايجاز ممتعة»، وهذا المؤتمر «ممتع من جميع النواحي» اذا أرضى الجميع ما عدا الروس وهذا شيء طبيعي.

ويجب القول إن اللوائح المصادق عليها صيغت بشكل مثير للدهشة حتى في مسألة الاضرابات وتربية الشبيبة ثم ان أحد البورجوازيين السلمويين لم يكن قد فهم أن التهديد بالاضراب سيجل في اللائحة «للعرض» (أي للعمال) «فلتنتظروا إلينا ما أجمعنا نحن الثوريين» فأعلن أن الاضراب العام كان شيئاً رائعا لكن كان يجب الشروع أولا في تربية الأطفال والشبيبة بطريقة تجعلهم يدركون معنى ذلك، وتصريح هذا البورجوازي السلموي لم يكن قط متناقضا مع الروح العامة لقرارات لاهاي.

انه مؤتمر سلموي نموذجي في بورجوازيته وكان عدد من الممثلين العماليين يحضرونه إلا أن ذلك لم يمنع المؤتمر من الادعاء بتحطيم الحرب دون المساس بالاجتماع الرأسمالي والحيلولة دون الحرب ليس بواسطة الصراع الطبقي ولكن عبر منظمة الأمم كان يريد أن يحول دون الحرب بتكوين كتلة بورجوازية سلموية ورفض فكرة الجبهة الموحدة معنا نحن الشيوعيين، واحتج النواب مدعورين عندما خاطبتهم : «اذا أردت السلم فحضر الحرب الطبقيّة»، «نحن جئنا الى المؤتمر لضمان السلم وها هم ممثلو روسيا يقترحون علينا خوض الحرب الطبقيّة» لقد كان هذا كلام زعماء الحركة العمالية المزعومين فبالنسبة اليهم الحرب أو الحرب الطبقيّة شيء واحد.

ان هذا المؤتمر تظاهرة صارخة لايديولوجية زعماء أمستردام وقد تأخت بورجوازية اليسار والسلمويين مع الجناح اليميني للحركة العمالية، ومن الجلي أن السلمويين البورجوازيين المدعويين الى هذا المؤتمر لم يكن باستطاعتهم التصويت على لائحة تناهض الرأسمالية، وكان المؤتمر قد رسم لنفسه هدفا وهو تجميع كل عناصر الحركة العمالية العالمية السلموية وكذلك عناصر البورجوازية المتطورة لتقول لحاكمي كل البلدان : تلك هي القوة التي تشكلها؛ اذا تجرأتم على السير بالانسانية الى

الحرب فإننا مستعدون حتى لشن الاضراب». وقد عرفنا فيما بعد أن زعماء أممية أمستردام عندما كانوا يتحدثون فيما بينهم عن هذا الاضراب المحتمل فإنهم كانوا يسخرون منه، لقد كان ذلك الحديث تزويقا ضروريا، ذلك هو كل ما في الأمر، ولائحة مناهضة للتسلح لا تتحدث إلا عن السينما فيها كثير من الجرأة : فكلمة «اضراب» هي الملائمة لأن العمال يرون فيها رغبة في النضال، وهكذا أخذ استظهار العجز مكان استظهار القوة.

ولما اقترحنا الجبهة الموحدة أعلن ترولسترا (Troelstra) مقرر اللجنة السياسية وزعيم الاشتراكية الديمقراطية الهولندية قائلا : «ينبغي أولا عزل الشيوعيين» إلا أنهم أقاموا جبهة موحدة مع السلمويين البورجوازيين دون «عزل» وسيثبت المستقبل من سيعزل.

كل هذه الأحداث تجسد موقف أمستردام من معاهدة فرساي ومن نزع السلاح ومن خطر الحرب وهي تكفي للحكم على طبيعة أممية أمستردام.

## الهجمة الرأسمالية

لقد سبق لي أن قلت إن نهاية الحرب اقترنت بازدهار الأوهام الإصلاحية وإذا كان علينا أن نُقيم علاقة بين غضب العمال المتنامي وانتشار الأوهام الإصلاحية وسعي البورجوازية الى ادخال اصلاحات فاننا لا نجد بين كل هذه الأحداث رابطة متينة جدا، فقد بلغ الاصلاح ومحاولاته الإصلاحية أوجهما نحو سنة 1920، وفي الحقيقة لم يكن هناك أي انجاز : فعلا فإن كلا من بعث «المكتب الدولي للشغل» والمشاركة في اللجان البورجوازية وندوة واشنطن وبرنامج تشريعهما العمالي ليس بالانجاز، ففي بداية سنة 1920 بدأت الحركة العمالية العالمية تسجل اهتزازات ذات علاقة بالتحولات التي عرفتها الوضعية الاقتصادية، ومنذ نهاية سنة 1918 حتى منتصف 1920 شهدنا من ناحية نمو صاخبا للحركة النقابية والعمالية ومن ناحية أخرى بعض التنازلات التي منحتها البورجوازية في ميدان الاصلاحات الاجتماعية كتطبيق يوم العمل بثمان ساعات وكثير الحديث عن المشتركة وبعث لها لجان في بلدان عديدة.

ومنذ منتصف سنة 1920 بدأ منعرج اقتصادي عام اذ دخلت التجارة

العالمية والصناعة مرحلة أزمة ابتدأت في شهر ماي في اليابان ثم انتقلت إلى أمريكا فانخفضت أسعار مواد الجملة ولم تعد البورجوازية تتراجع اذ أطلقت العنان لهجمتها، وقد شملت هذه الهجمة الرأسمالية المنتصف الثاني من سنة 1920، وابتدأت أيضا سنوات 1921، 1922، 1923 في نفس الوقت مع الأزمة الاقتصادية.

فما هو مغزى هذه الهجمة وكيف قاومتها الحركة النقابية العالمية؟ كان هدف الهجمة الرأسمالية يتمثل في جعل المنتج زهيد الثمن نظرا الى أن السوق العالمية كان قد أصابها الكساد وأن التنافس كان يزداد فتكدست البضاعة ورغم الحاجة الملحة الى ذلك فقد انعدم المشترون بسبب الثمن الباهظ وبسبب ذلك ومن جانب الأعراف وُجِدَ ضغط لجعل المنتج زهيد الثمن والمحاولة تخفيض أسعار البيع، وكان يجب العثور على الحلقة الضعيفة فتمثلت في اليد العاملة لا بتحسين تقنية الانتاج ولا بالزيادة في مردود المؤسسة وإنما في اليد العاملة التي أصبحت زهيدة الثمن وفي استرجاع كل ما قَدِّم كإصلاحات اجتماعية : «تأويل» يوم الثاني ساعات، تخفيض الأجور، هذا هو المسار الذي اتبعته الهجمة الرأسمالية.

وهناك مثال سيبين توسع هذه الهجمة فقد مس تخفيض الأجور حسب الاحصائية الرسمية لسنة 1921 : 7 ملايين عامل انقليزي وقد كان العمال خلال كل أسبوع وأثناء سنة 1921 يفقدون 5 ملايين ليفر سترلينغ (Livres sterling) وفي سنة 1922 كان العمال يفقدون 6 ملايين ليفر سترلينغ أسبوعيا أي ما يعادل 150 مليون فرنك ذهب ولمدة سنتين وحسب هذا النسق يكون المقدار الهائل الذي سيفقده الاجراء 12 مليار ونصف فرنك ذهب وقد مكنت هذه الميارات من جعل المنتجات زهيدة الثمن وجعل المنافسة ممكنة في الأسواق العالمية. لِتَرَ ما فعلته أُمِّية أُمستردام لمقاومة الهجمة الرأسمالية، فالأطر المهنية ضيقة جدًا لاحتواء الصراع الاقتصادي في أيامنا هذه. والصراع تجاوز الحدود القومية والأمميات تهدف فعلا الى تدويل هذا الصراع ونحن نمر بمرحلة تطور اجتماعي لا يمكن أن تتحقق أثناءها انجازات اقتصادية ولا يمكن أن تنتصر إلا عالميا فحتى في ميدان الأجور فإن السوق العالمية هي التي تقنن الأسعار في حين نرى أن أُمِّية أُمستردام لم تقم طيلة الهجمة الرأسمالية بأية مبادرة عالمية وبأي عمل خاص لاقامة هذه الأُمِّية في وجه مجموع الطبقة الرأسمالية التي أصبحت تهاجم، لقد وقعت

تحركات متشعبة واضرابات اقتصادية معزولة ونزاعات ولقاءات في عديد البلدان وانتهى الأمر عند هذا الحد. لا تتميز أمة أمستردام بتغليب المبدأ القومي على المبدأ الأممي فحسب بل أيضا وفي حدود الأمة الواحدة بهيمنة المبدأ الحرفي على المبدأ الطبقي، ونرى هذا بوضوح من خلال مثال نضال العمال الانقليز، فأتداء الاضراب الشهير للمنجمين الذي دام 13 أسبوعا في بداية سنة 1921 بقي العمال الانقليز معزولين بعد أن وقع التخلي عنهم، فنقابات سكك الحديد والنقل التي كانت تشكل مع المنجمين «التحالف المثلث» لم تساعدهم، إنه «الجمعة الأسود».

وفي سنة 1922 دار صراع واسع النطاق : إغلاق المصانع في وجوه المعدنيين وقد انجر الى الصراع عديد مئات آلاف المعدنيين و36 نقابة، فهل ساعدت النقابات الأخرى المعدنيين؟ كلا لقد بقي معدنيو البلدان الأخرى هم أيضا مكتوفي الأيدي وناضلت مجموعات موزعة على عديد القطاعات في الجبهة دون أن تتلقى مساعدة الأمة، فمنيت بهزائم حتى فوق أرضها وفي قطاعاتها الخاصة لأنها لم تجد مساعدة من رفاقها.

إن سلوك أمة أمستردام والمنظمات التابعة لها متميز أثناء السنة الأخيرة وبقطع النظر عن تكسير نقابات أمستردام بألمانيا للحركة الثورية التي شهدتها أكتوبر — نوفمبر 1923 فإن هؤلاء السادة كانوا المكشرين المنظمين للاضرابات، فلما بدأ العمال النضال أفضل هؤلاء السادة الاضرابات بامضائهم اتفاقات لالغاء يوم العمل ثماني ساعات وللتخفيض في الأجور... الخ. (اضراب منجمي حوض الرور وإضراب في سيليزي العليا (Haute Silésie) وقد أثبتت سلسلة من الاضرابات في أنقلترا أن مسيري الأمة الثانية وأمستردام قادرون على فعل كل شيء اذا ما أرادوا الحكم.

والاضراب الأخير لمنجمي البوريناج (Borinage) (بيلجيكا) له مميزاته هو أيضا، فقد كان المنجميون يستمتون في الاضرابات لكنّ الأعراف انتصروا بمساعدة النقابات الاصلاحية فقط. وكان ذلك أيضا شأن الاضراب العام الأخير للمعادن بالتمسا وسلسلة الاضرابات التي أفشلها الاصلاحيون بفرنسا! وتلاحظ نفس الظاهرة في أي بلد: يفضل الاصلاحيون التحرك الجماعي مع الأعراف ضد العمال الثوريين عوض التحرك مع العمال الثوريين ضد الأعراف.

فماذا فعلت أممية أمستردام؟ وما هو نصيبها في هذه النزاعات العملاقة؟ وفي ما كان يمثل تأثيرها إن لم تكن تساهم في هذا النضال؟ على أنصار أممية أمستردام الأكثر تحمسا أن يتأملوا تقصيرها في النزاعات الدائرة الآن.

إن التكتيك الأمستردامي يغلب المبادئ الحرفية على المبادئ العامة للطبقة الشغيلة والمصالح الوطنية على المصالح الأممية. إنه هو الذي سبب هزيمة الوحدات البروليتارية العزلاء في صراعها مع الرأسمال المنظم تنظيما عجيبا. إن دراسة دقيقة لنشاط أمستردام أثناء هذه السنة يسمح لي بأن ألاحظ بكل موضوعية أن هذه «الأممية» لم تحرك ساكنا، وهذا الجمود على المستوى العالمي هو السمة المميزة والأساسية لأممية أمستردام وإن لم يكن مبدأها فهو على الأقل ممارستها : فالأممية التي أسستها منظمات قومية تدافع كل واحدة عن مصالح دولتها البورجوازية الخاصة لا يمكنها أن تكون مناضلة بحكم تركيبها نفسها، وأثناء مرحلة الهجمة الرأسمالية كلها لم نر من جانب جماعة أمستردام نضالا واحدا موحدًا ومحاولة جذبة لمساعدة هذا القطاع أو ذاك من الجبهة الاجتماعية مساعدة مادية أو مساندته مساندة نشيطة.

## «مقاومة» أممية أمستردام للفاشية

لنمر الآن الى مسألة الفاشية وهي مسألة هامة جدا. فما هي الفاشية؟ إنها الكلمة الأخيرة للرجعية الامبريالية المعتمدة على الطبقات الوسطى (موظفون ومثقفون) التي فلستها الحرب وما بعد الحرب والتي ظنّت استعادة حياة الرخاء السابقة للحرب بمقاومتها للثورة الاجتماعية. الفاشية هي حركة سيمتها الخاصة التوق الى الاعتماد في نضالها على جزء من العمال إن لم يكن على مجموعهم وهي تجهد نفسها لتجلب لصفها بعض العناصر العمالية لتتفق معها على تحطيم بؤر المنظمات الثورية.

لنلاحظ بشرعة أن الفاشية تعلمت الكثير من الثورة وبما أن البلشفية هي أبرز ممثل للثورة فإن الفاشية استعارت أشياء كثيرة منها : ففي ما تتمثل هذه الاستعارات؟ تتمثل أولا في طريقة النضال الثوري العنيف وثانيا في ازدياد الأشكال الديمقراطية القانونية وثالثا في سرعة العمل ورابعا في الفكرة القائلة باستئصال البؤر الثورية للطبقة المعادية قصد تحقيق الهدف المنشود، فهناك إذن بعض التشابه في



المنهجية بين البلشفية والفاشية، ولم يتأخر الاصلاحيون عن الاستفادة من هذا التشابه الخارجي ليجمعوا بين اسمي ميسوليني ولينين اذ يقولون :. الاثنان يشتران بحركة معادية للديمقراطية فما الذي يميز تمييزا جوهريا بين البلشفية والفاشية هذين التيارين المتضادين للصراع الاجتماعي؟ ان الفرق بينهما ذو طابع اجتماعي : فمن ناحية نرى استعمال كل الطرق العنيفة ضد الطبقة العاملة لتحطيم قواها ولجعل الثورة الاجتماعية مستحيلة، ومن ناحية أخرى تستعمل طرق العنف الثوري لتحطيم مقاومة البورجوازية ومقاومة النظام الرأسمالي وتهديمه، وينبغي أن يقال ليست المظاهر الخارجية هي التي تحدد هذه الحركة أو تلك بل الطابع الاجتماعي لها والحال أن التعارض الاجتماعي المطلق بين الفاشية والبلشفية يجعل كلا منهما عدوا ألد للآخر وقد نتج عن ذلك أن على مجموع البروليتاريا، لكي تحقق مهامها البروليتارية، أن تجد حلا لمسألة طرق النضال ضد الرجعية بصفة عامة والرجعية الفاشية بصفة خاصة.

لقد بينت هاتين السمتين المميزتين للفاشية اذ تعتمد على الطبقات الوسطى وهي في حالة تفكك وتحاول أن تتسرب للمنظمات العمالية، وللفاشية خاصية أخرى أيضا : انها تتدب عناصرها النشيطة من المنظمات العمالية وخاصة من بين مسيرها، ولا ننسى أن ميسوليني قد انتهى حتى سنة 1914 الى الجناح اليساري للحزب الاشتراكي وكان رئيس تحرير لافنتي (L'avanti) ومن وزرائه وصحبه الفاشيين مناضلون قدامى من الحركة الفوضوية النقابية وكل هذه العناصر التي مرت بمدرسة المنظمات العمالية تعرف جيدا نقاط ضعف هذه المنظمات وتعرف كيف تنزل بها ضربات موجعة جدا.

وقد سمي صحفي إيطالي الفاشية بثورة مضادة احتياطية أي الوسيلة المستعملة لتجنب الثورة، والحركة الفاشية التي دخلت الآن تقريبا كل البلدان ظهرت بوضوح خاص في إيطاليا. فالفاشية ظاهرة هامة جدا من الناحية الاجتماعية وهي تحتاج الى دراسة بالغة الأهمية إلا أن هذا الأمر قد يتجاوز موضوعي، فالمسألة التي تشغلنا الآن هي الآتية : ماذا كان وما هو موقف الجامعة النقابية الأمية بأمرستردام والمنظمات التابعة لها من خطر الفاشية؟

لنلاحظ بدون تردد أن أممية أمستردام والفروع التابعة لها لم تفهم الطابع

الاجتماعي للفاشية، وكل مرة تبنت لوائح حول هذه المسألة، وهذا أمر نادر، فإنها كانت تعتبر أن الفاشية رجعية عادية ولكن اذا كانت الفاشية لا تختلف عن الرجعية العادية فلماذا لا نتحدث عن الفاشية المجرية في حين لا تقل الرجعية في هذا البلد عنفا عن إيطاليا؟ ولماذا لا ندين الفاشية في فرنسا اذ هناك ممثلون للرجعية «أَكْفَاء» مثل بونكرياي؟ (Poincaré).

يبدو أن طبيعة النظام الفاشي تحتاج الى تعريف أكثر دقة انها رجعية لها خصوصياتها فيجب أن تقاوم بطرق لها خصوصياتها أيضا. إن الفاشية لا تحاول الاعتماد على بعض عناصر الطبقة الشغيلة فقط بل تُجهد نفسها لبعث منظمات عمالية فاشية وهي ظاهرة أشد خطورة، فقد تشكلت في إيطاليا كنفدرالية نقابات مهنية فاشية تحاول أن تسيطر على كل الحركة العمالية فمن الطبيعي حينئذ أن يتخذ النضال المناهض للفاشية طابعا خاصا اضافة الى الطرق العادية للعمل المعادي للرجعية.

وكانت الأمية النقابية الحمراء والأمية الشيوعية أول من أطلق صيحة الفرع وقد اقترحنا، غداة الانقلاب الايطالي، على الأمية II والأمية 2 / II1 وكذلك على الجامعة النقابية الأمية بأستردام أن تبشر نضالا مشتركا لمعاداة الفاشية فرفضت مقترحنا الجامعة النقابية الأمية بأستردام وكذلك الأمميات الاصلاحية السياسية التي التزمت بمقاومة الرجعية الفاشية بشكل منعزل. ففي ماذا تمثلت هذه المقاومة؟ لو قرأنا كل أدبيات أستردام والمنظمات المنضوية تحتها لما وجدنا حتى مجرد تحليل جدي للفاشية، ستجد مقالات متفرقة تناهض الرجعية الفاشية دون محاولة تعميم المعطيات المتعلقة بهذه الظاهرة الاجتماعية التي بدأت تنتشر في كل البلدان ودون محاولة استخلاص استنتاجات سياسية من هذا التعميم لرسم تكتيك عملي للتصدي للفاشية.

وهناك أيضا حدث أكثر جدية ففي حين بقيت أممية أستردام سلبية أمام الفاشية وامتنعت عن اعطاء أي توجيه للمنظمات الموالية لها حول طرق العمل للتصدي للفاشية فإن مختلف المنظمات المنخرطة في أستردام اتخذت تجاه الفاشية موقفا أقل ما يقال فيه إنه غير متوقع، وهنا أيضا نذكر إيطاليا كالمعتاد عندما يتعلق الأمر بالفاشية تماما كما نذكر روسيا السوفييات عندما يتعلق الأمر بالبلشفية. وقد قادت الفاشية، غداة انتصارها في إيطاليا، هجمة عامة ضد الطبقة العاملة :

تخفيض الأجور، زيادة ساعات العمل... الخ. ولتتمكنوا من تجسيد كل هذه القرارات بدأ الفاشيون بتحطيم المنظمات العمالية ومصادرة مقراتها، ونهب دور النقابات والاستحواذ على التعاضديات وتجزير المناضلين البارزين وكان الفاشيون ينطلقون من هذه الفكرة : كلما جزروا الثورين وحطموا المنظمات العمالية عسر على الثورة تحقيق النصر مستقبلا.

لا يمكن الاجهاز على الثورة بآبادة الثورين لكن من المؤكد أنه تقع عرقلتها، ونحن نعرف أنه بعد الكومونة سحقت البورجوازية الفرنسية أثناء الأسبوع الدموي من 20 الى 27 ماي 1871 ثلاثين ألف عامل وكان لذلك انعكاس كبير على الحركة العمالية الفرنسية، والمجزرة التي اقترفت في الأسابيع الأولى من الثورة الألمانية أبطأت مسيرة الاحداث الثورية في ألمانيا- إلا أن إبادة العناصر الأكثر ثورية لا تستطيع أن تحول دون الثورة في بلد معين بما أن وضعيات موضوعية تفرزها، فالرعماء المفقودون سيعوضهم آخرون إلا أن الفاشية تستطيع أن تؤخر الثورة وتجعلها أكثر ألما ودموية وهو ما يمثل هدفها الذي حققته بنجاح كبير.

ويحلو للاصلاحيين مقارنة البلشفية بالفاشية ليعلموا : «لا فاشية ولا بلشفية ولكن ديمقراطية».

فالانقلاب وسيطرة القبضة الفاشية في إيطاليا لم يحطما أشكال الحكم الديمقراطي فحسب بل سحقا أيضا المنظمات العمالية، وفي هذه الظروف يبدو أنه كان على الاصلاحيين أن يتخذوا موقفا عدائيا للغاية تجاه الأقمصة السوداء.

إلا أن تجربة السنة الماضية في الحركة العمالية الإيطالية أثبتت عمليا أن الشيوعيين يمثلون العنصر المناهض للفاشية الأكثر حيوية، أما الاصلاحيون فموقفهم مبهم جدا إذ أخذوا يبحثون عن خطة مشتركة قادرة على تمكينهم من تسوية ترضي القادة الفاشيين والنقابيين معا، والحادثات بين ميسوليني والكنفدرالية العامة للشغل (س.ج.ت) الإيطالية مثيرة للاستغراب، وبالطبع فإن وقوع الحادثات نفسه لا يثبت أي شيء. ألم يتحتم، فيما مضى على العمال الثورين الروس التفاوض مع باشينا بوزق» للحكام العامين؟ إلا أن الأحداث التي سبقت المفاوضات مع الس.ج.ت وميسوليني لم تجمع بين ممثلي طبقات مختلفة لمحاولة معرفة نقطة ضعف العدو أو للدفاع عن وجهة نظر محددة للمفاوضات التي أشرنا

اليها كانت ترمي الى اقامة خط مشترك للتعاون. ونجد برهانا في التصريح الأخير لميسوليني الذي قال في إحدى خطبه إنه يَكِينُ عطفا للطبقة العاملة وأعلن عن استعدادده ليعمل كل ما في مستظاعه لفائدتها ويكون سعيدا جدا لو يرغب ممثلو النقابات في المشاركة في الحكم فستسند لهم أهم المناصب وكان من المفروض أن يثير هذا المقترح عاصفة من الاحتجاجات لدى ممثلي النقابات الذين يشاركون في البرلمان إلا أن الأمر خالف ذلك فأثناء التصويت على مقترح ميسوليني صرح درقونة (D'aragona) قائلا لما وجد نفسه مضطرا للتصويت ضده : «ألح على توضيح أمر وهو أنني بتصويتي ضد الحكومة أتصرف كعضو لحزب اشتراكي وليس كممثل لـ س.ج.ت.

فإذا نظرنا الى الظرف كله والى كل المفاوضات التي كانت قد جرت وخاصة الى الضغط الفاشي الهائل على الطبقة العاملة في حين تطرد الس.ج.ت النقابيين الشيوعيين عوض أن تقاوم الفاشية فان طابع المغازلة بين الفاشيين والاصلاحيين سيصبح جليا. وكلما تطورت الفاشية لوحظت محاولات من جانب مسيري الجناح الاصلاحى للحركة المهنية لتكليفها وحتى «استعمالها» لصالح العمال إلا أن الفاشية هي ظاهرة عرضية، فنهاية 1923 و1924 هي في ايطاليا سنوات انحطاط الفاشية وقد ازدادت تحركات الجماهير ولما أحست البورجوازية بمقدم الثورة أبدت معارضة الحكومة الفاشية، وفي كل هذه الحركة المناهضة للفاشية التي ازدادت خطورتها بعد قتل الفاشيين للنائب ماتيوقي (Matteotti) كانت نقابات امستردام تساهم الى جانب كتلة المعارضة كمجموعة منظمة.

وليس هناك حتى محاولة من جانب ممثلي امستردام لخوض صراع مستقل فوق الميدان الطبقي مع الفاشية فهم لا يتجاوزون حدود الخطب البرلمانية للمعارضة في حين تفقد الفاشية مواقعها كل يوم وتزداد روح المعارضة بين الجماهير. ومن الصعب تحديد ما تخشاه جماعة امستردام أكثر من غيره هل هو الفاشية أم الشيوعية، فالتطور اللاحق للأحداث في ايطاليا لا يبعد إمكانية وحدة بين امستردام والحكومة الفاشية وهذه المغازلة السياسية ليس لها طابع الايطالي فقط فقد لوحظت أحداث مماثلة في ألمانيا في أكتوبر ونوفمبر 1923 رأى الاشتراكيون الديمقراطيون والاصلاحيون النقابيون أن الشيوعية عدو أخطر من الفاشية. ولما كان الحزب الشيوعي يُدين خطر الفاشية كان الاشتراكيون الديمقراطيون يصيحون في

وجه الخطر الشيوعي، ونجد هنا مرة أخرى صيغة «لا للفاشية لا للشيوعية نعم للديمقراطية» إلا أن هذه «الديمقراطية» ليست دائما غير قابلة للتصالح مع الفاشية فالحكومات الليبرالية بفرنسا وأنجلترا والولايات المتحدة، هذه الحكومات التي لم تستطع أن تقرر الاعتراف ببروسيا لمدة ست سنوات كانت السبابة في الاعتراف بالحكومة الفاشية.

فليس هناك أي تناقض بين الاصلاحية والفاشية فكلتاهما تنطلق من الرغبة في الابقاء على النظام الرأسمالي، أما مسائل طرقها في ذلك فتظل ذات أهمية ثانوية : الأساس الصلب هو نفسه وبملاحظة إرادة التمسك بالنظام الرأسمالي يفهم أن كل العناصر القادرة على تحطيم هذا النظام (والحال أن الشيوعية تلعب هذا الدور «المشؤوم») هي خطيرة جدا» وتستحق المقاومة بالطريقة التي لا هوادة فيها.

ولكن هناك حدث أكثر إثارة للدهشة فنحن نرى، عبر المسار التاريخي للثورة الألمانية، مسيري الاشتراكية الديمقراطية يقمعون العمال بطرق يحسددهم عليها ميسوليوني نفسه اذ ظهرت من صلب المنظمات النقابية نفسها بعض المجموعات المنعزلة وتشكلت بعض الخلايا التي انحازت للفاشية اثناء احتداد الصراعات الاجتماعية الأشد ضراوة، هكذا وبداية من الآن توجد مجموعات في صلب النقابات الاصلاحية تضم العمال الأكثر تخلفا وستستطيع الفاشية التعويل عليها مستقبلا في مقاومتها للثورة الاجتماعية والشيوعية.

فهل حاولت أممية أمستردام وفروعها مقاومة هذه الوضعية وهل ابدت — ولو مرة — أممية أمستردام وفروعها الرغبة في القضاء على الفاشية في المهدي في صلب منظماتها أو على هامشها؟ توجد هذه الرغبة الأفلاطونية في اللوائح مصاغة صياغة مجردة إلا أنها لم تترجم عمليا لأن أممية أمستردام لا تبني تكتيكها على الثورة بل على التطور وليس على المقاومة بل على الوفاق الطبقي وليس على حرب الطبقات بل على السلم الاجتماعية.

المحاضرة الخامسة  
تكتيك أمية أمستردام

## نزاع الرور (Rurh).

كنا قد عرضنا صراحة إقامة الجبهة الموحدة خلال «مؤتمر السلام» المنعقد بلاهاي حيث لم يكن النواب الروس يمثلون النقابات الروسية فحسب بل كذلك الكومنترون والأمية النقابية الحمراء، فرفض الاصلاحيون ذلك بشدة لأنهم لم يكونوا يرغبون في الجبهة الموحدة معنا وتصريحهم لم يرقهم البتة وقالوا سنبعث الجبهة الموحدة معكم ان أردتم وبدونكم إن أزحتمونا وضدكم إن عارضتم» ولو كان الاصلاحيون يريدون بعث جبهة موحدة معنا لأحجموا عن استدعاء السلمويين البورجوازيين، إلى لاهاي فهم يعرفون جيدا أننا لن نتحالف مع البورجوازية وحتى تركيبة مؤتمر لاهاي (La Haye) كانت تنافي امكانية الجبهة الموحدة.

أنهى مؤتمر لاهاي أشغاله يوم 18 ديسمبر 1922 وفي 10 جانفي 1923 كانت الجيوش الفرنسية تحتل الرور وبداية من هذه اللحظة بالذات برز إحساس عند الجماهير بميل جدّي نحو الجبهة الموحدة فما هي أسباب هذا التحول؟ إنه احتلال الرور الذي كان يقدم حجة ملموسة على إفلاس أممية أمستردام فقد كان قادة أمستردام وعدوا بالاضراب العام منذ ثلاثة أسابيع خلت وها هم الآن عاجزون عن الاحتجاج وإن بشكل ضعيف فالألمان يجتذبون أمستردام نحو ناحية والفرنسيون والبلجيكيون يجتذبونها في اتجاه معاكس وهي لا تعرف كيف تجد الشعار الواضح.

فالشيء الوحيد الذي وجدته لتقوله هو وجوب إحالة نزاع الرور على جمعية الأمم وقد كان غنف الجيوش الفرنسية والبلجيكية محل احتجاجات ضعيفة

اللهجة زد على ذلك صرح قادة النقابات البلجيكية و P.O.B. في مؤتمرهم وعلى المنبر البرلماني أنه ليست هناك مخارج أخرى في موضوع التعويضات وإن احتلال الرور يفرض نفسه، وكان الاصلاحيون يقولون، وهم يردون على الاشتراكيين الوطنيين البلجيكيين، إن احتلال الرور مضر وإنه يجب تطبيق طرق ضغط أخرى تجاه ألمانيا واحالتها على جمعية الأمم والمنظمات الأممية الأخرى.

وكان أحد إصلاحيي جلالة ملك بلجيكا يجيب إن السوق لم يكن غير ملائم فقد تلقينا من ألمانيا أربعة مليارات ونصف في حين لم يكلفنا الاحتلال إلا 700 مليون فأنتم ترون من هنا هذه الأممية التي يتساءل أعضاؤها بكل جدية إن كانت هذه العملية العسكرية مفيدة أم لا من وجهة نظر حسابية وترون أنها، بعد ثلاثة أسابيع من الوعد بالاضراب العام، تلتجئ الى جمعية الأمم، وترون أنها لم تستطع أن تتظاهر ضد جريمة الرور ستفهمون بسهولة خيبة الأمل التي انتابت الجماهير المنضوية تحت أمستردام وأأس العمال الألمان أمام عجز هذه الأممية السياسي وكل منهجها. تنوق الجماهير العمالية الى تغيير التكتيك وإيجاد شيء آخر لكن ماذا يمكنها أن تجد؟ يجب اختيار إما التكتيك الاصلاحى الذي يغازل السلمويين البورجوازيين وإما تكتيك الجبهة الموحدة مع الشيوعيين فليست هناك سبيل أخرى لقد أظهر احتلال الرور بوضوح الانشقاق الذي يسود أممية أمستردام، وبين بشكل جليّ التناقضات الداخلية القومية والامبريالية التي تمزق هذه الأممية المزعومة وبين أن الجماهير انخرت عفويا نحو الجبهة الموحدة مع الذين يرغبون في النضال فمن كان يناضل في تلك الفترة؟ ومن كان يقدم مقترحات حقيقية تستطيع أن تقود الى تدعيم المواقع العمالية في وجه البورجوازية العدوانية؟ إنهم أنصار الكومنترن والأممية النقابية الحمراء، ولا أحد غيرهم كان يظهر في الفضاء السياسي. وفيما مضى كان يقال «كل الطرق تؤدي الى روما» أما الآن فيجب القول : «كل الطرق تؤدي الى موسكو» فكلما وجدت الطبقة العاملة نفسها في وضعية صعبة أو أجهدت نفسها لاستعمال الطرق الاصلاحية بدأت تبحث عن طريق «موسكو» الذي يتمثل في النضال ضد البورجوازية الى جانب الشيوعيين.

## ندوة عمال النقل ببرلين

لقد كان لنا بعد في ندوة فرنكفورت أنصار بين نواب لجان المصانع حتى أن



مجموعة اشتراكية ديمقراطية كانت صرحت لهذه الندوة تطالب من القادة الاصلاحيين بالجبهة الموحدة مع الشيوعيين فبينت الأحداث التي وقعت فيما بعد بألمانيا الضرورة الحياتية للجبهة الموحدة وقد كان العمال يقيمونها تجاه وضد إرادة القادة الاصلاحيين الاشتراكيين الديمقراطيين.

رفضت أممية أمستردام بوضوح وقوة الجبهة الموحدة إلا أن أمميات الصناعة لم تكن لها كلها إمكانية التسج على منوالها، ففتحت ثغرة أولى في واحدة من منظمات أمستردام العمودية هي جامعة النقل الأممية وانعقدت ندوة النقل الأممية في برلين في أواخر ماي 1923 فكيف حدث ان جزءا من أممية أمستردام وفيمان، أحد أمنائها قبلًا فكرة الاتفاق مع الشيوعيين الروس أعضاء الأممية النقابية الحمراء على إقامة جبهة موحدة معهم رغم سياسة أمستردام المحرمة لذلك، إن ذلك يعود الى احتلال الرور ومن الوقائع ما قد يوضح الرؤى أحيانا وكان احتلال الرور هذه الواقعة التي أحدثت شرخا نسبيا في ركود الجماهير العمالية الفكري وتبعاً لذلك أحدثت شرخا نسبيا في القادة.

كنا قد سجلنا في جدول أعمال هذه الندوة هذه المسائل : النضال ضد الفاشية، الوحدة النقابية، النضال ضد خطر الحرب وقد وقعت المصادقة على البيان والمقررات.. إلخ. وقد ساعدنا في هذا الاتفاق الاقتناع الذي حصل لدى ممثلي جامعة النقل الأممية بأن الطريق القديمة مسدودة فاتخذنا قرارات على غاية كبيرة من البدهية : : النضال ضد خطر الحرب بواسطة لجان الرقابة في الموانئ وفي أهم خطوط السكك الحديدية... إلخ.

إلا أن الاتفاق الذي عقدته الندوة أدانته بشدة أممية أمستردام القائمة على مبدأ تمثيل المنظمات الوطنية والذي تسانده على المستوى السياسي المجموعات العمودية (النقل، المعادن... إلخ). لقد أزلنا واحدا من هذه الأركان : فماذا سيحدث بالخصوص انطلاقا من دور النقل الهام لأننا لا نستطيع مثلا أن نناضل ضد الحرب بفاعلية إن لم يخض هذا النضال عمال النقل؟

أية فضيحة لم يسمع بها في العائلة البرجوازية النزهة بامستردام أممية للصناعة تقيم كتلة مع الشيوعيين دون أن يؤذن لها بذلك! كان يجب على أمستردام، أليس كذلك، أن تقول صراحة : «نحن نرفض الاعتراف بالجبهة الموحدة». كان ذلك،

كما يبدو، الموقف الطبيعي الوحيد لأمستردام إلا أن وضعيتها لم تعد نفس الوضعية بعد احتلال الرور فاجتمع قادة أمستردام وتشاوروا طويلا : تعلن اللائحة المصادق عليها أن أممية أمستردام لا تعتبر نفسها ملزمة بمقررات ندوة النقل. لكننا لم نكن نفكر قط في «الزامها» فلماذا يتخذون هذا الموقف؟ لأنهم كانوا يخشون أن يعلنوا أنهم خصوم الجبهة الموحدة ويخشون أن يفقدوا بذلك تحكمهم في جمهور نقابيتهم الخاص. لقد قاموا بحركة دائرية لأنهم لا يجروؤن على إدانة الجبهة الموحدة صراحة. يقولون «نحن مع الجبهة الموحدة، لكن لن نستجيب لقرارات اتخذت في شأننا». وفي نفس الوقت كانوا يعربون عن رغبتهم في التحدث مع النقابات الروسية فعبرت المركزية النقابية الروسية عن استعدادها للتفاوض مع أمستردام وحتى استشارتها استشارة جدية بشأن الجبهة الموحدة والنضال ضد الفاشية.. الخ. والجواب الذي تلقيناه يحمل إمضاء أوديجيست (Oudegeest) فأمستردام تمتلك يدا يمنى ويذا يسرى وعندما يجب إمضاء أمر على غاية من الاصلاحية فإنه يُوكَلُ الى أوديجيست وقد قيل في هذا الجواب إن المقترحات الروسية سينظر فيها بداية من شهر أوت (المراسلة تعود الى سنة 1923)، والجامعة النقابية الأممية بأمستردام تريد أن تعرف هل تتكلم النقابات الروسية باسمها الخاص أم باسم الأممية النقابية الحمراء، ومرة أخرى تفصّل أمستردام من كل مسؤولية فيما يتعلق بمقررات برلين.

ولأن اللجنة المركزية كانت قد عبرت عن رغبتها في رؤية اتفاقات مشابهة لاتفاقات برلين تعقد في الصناعات الأخرى إلا أن الاصلاحيين قد قاموا بمثل هذا الضغط الى حد أن المجلس العام لـ F.I.T. وافق في أوت 1923 على لائحة تعترف من ناحية بأن الجبهة الموحدة هي أمر جيد لكنه يؤجل من ناحية أخرى هذه المسألة لتتظر فيها مسبقا الجامعة النقابية الأممية بأمستردام، وطبيعي أنه ما إن شُرع في حديث غير مركز، حتى كانت النتيجة : لا شيء، ونظريا فإن مقررات ندوة برلين معترف بها من قبل جامعة النقل العالمية أما عمليا فنحن لم نتحرك قيد أنملة.

كان قد تقرر إنشاء لجان أممية للعمل ضد الحرب والرجعية والفاشية إلا أن الاصلاحيين لم يتجاوزوا «المبادئ» وكان هنري الرابع يريد أن يكون لكل فلاح فرنسي «فرخة خصية» إلا أن هذه الرغبة الأفلاطونية لم تعط لفرنسي ذلك العصر دجاجة ولا حتى خبزا. وهذه المبادئ لم تحرك لنا ساكنا وكان من المؤكد أن على

النقابات الروسية أن تلتقي أيضا بنواب أمستردام فالجماهير تريد الجبهة الموحدة والاصلاحيون سيضطرون إلى قبول اتفاق معنا. وفي هذا الصدد من المهم تسجيل قرار المؤتمر الأخير للنقابات البلجيكية (أوت 1923) اذ بيّن هذا المؤتمر شعبية الجبهة الموحدة وسط الجماهير الشعبية حيث أوكل للقادة النقابيين الدفاع عن الجبهة الموحدة لدى أمية أمستردام ولئن وجدت فكرة الجبهة الموحدة لنفسها ركنا صغيرا حتى في الأدمغة الخاوية لقادة النقابات البلجيكية فالأكيد أن ذلك ليس خطأهم، وهناك حيث تحققت عرقلة الجبهة الموحدة بنجاح (ومن وجهة النظر هذه يجب تقديم كل الامتتان لقادة الحركة العمالية السياسية البلجيكية) حتى في هذه البلدان لم يعد ممكنا الآن وجود باب للتخلص لأن الجماهير العمالية تريد جوابا دقيقا : نعم أم لا — هل سنناضل بالاتفاق مع الشيوعيين ضد الرجعية؟ إن اللائحة البلجيكية هي صدى للأزمة الايديولوجية والتنظيمية لأمية أمستردام. وفروعها التي تحثها الجماهير العمالية تصطدم بتكتيك الجامعة النقابية الأمية.

وهناك مثال آخر : انعقد بالتوازي مع ندوة عمال النقل في برلين، من 23 الى 25 ماي بهمبورغ مؤتمر الأमितان II وII1/2 وقد حضره 600 نائب فيما لم يحضر ببرلين إلا 9.

ففي حين انعقد «مؤتمر» بهمبورغ وقعت مجرد استشارة محدودة في برلين وحضر مؤتمر همبورغ سكرتير من أمية أمستردام هو أودجيس (Oudegest) وحضر استشارتنا سكرتير آخر من نفس الأمية هو فيمان. كان أودجيس يتحدث في همبورغ ضد الشيوعيين وضد الجبهة الموحدة، وفي برلين كان فيمان يقيم جبهة موحدة معنا، وتصور بسهولة ما يجب أن تكون عليه القاعدة السياسية والقوة السياسية لمنظمة يواخي الشيوعيين أحد أمنائها ويواخي الآخر أعداءهم.

وفي الحقيقة فإن أمية أمستردام تخلت عن فيمان وأقامت نوعا من التوازن في الأمانة العامة وبعد تخلصها من أمينها العام وجدت أمستردام في بيرسال (Purcell) رئيسا لليسار يعكس الآراء الجديدة القوية نسبيا في الحركة المهنية.

لقد ذهب الى الظن التخلص من المعارضة بإقصاء فيمان إلا أن المعارضة شقت طريقها في الحركة النقابية الانكليزية واحتلت موقعا متفوقا في أمية أمستردام.

وكنتيجة لخمس سنوات نضال ضد الشيوعية وكل ما هو ثوري في الحركة

النقابية فإن أُممية أمستردام لم تعد لا أكثر تجانسا من الناحية الايديولوجية ولا أكثر كفاعلية وقد دخلتها بدعة وفقدت روحها الاصلاحية البدائية وتشكل في صلبها جناح يساري دون أن يتبينه القادة وسرى برنامجه وتكتيكه.

## جناح أُممية أمستردام اليساري

يشك في ألمانيا عدد من الرفاق في وجود هذا الجناح اليساري لأُممية أمستردام فاذا ذهبنا الى البحث عن جناح يساري منظم بإحكام وله برنامج وتكتيك واضحان ويواجه سياسة الجناح اليميني بسياسته فلن نجد ذلك. فمنذ نزاع الرور يوجد تيار غضب قوي في صلب أُممية أمستردام لكن الذين يسمون بالجناح اليساري غالبا ما يختلفون قليلا عن الجناح اليميني وينضوي تحت هذا الجناح اليساري أنصار الأُممية النقابية الحمراء بأجمعهم.

يتبع هذا الغضب سبلا مختلفة فالبعض يريدون الجبهة الموحدة الى اليسار وقطع الائتلاف مع البورجوازية والآخرين يريدون حصر الاتفاق مع النقابات الروسية أما المجموعة الثالثة فتقوم بتعديلات طفيفة في الخط العام ويعود غضب المجموعة الرابعة الى جهود أُممية أمستردام... الخ.

لقد ظهر الجناح اليساري لأول مرة في مؤتمر فيانا لأُممية أمستردام (جوان 1924) وأظهرت المعارضة في هذا المؤتمر طابعها المتعدد والعام وكانت الاختلافات في مؤتمر فيانا تتعلق بالعلاقات مع النقابات الروسية وبعد نقاش حاد وقعت المصادقة على قرار بالاجماع كان يعيد ما كانت أُممية أمستردام تقول من منذ سنوات عديدة ويمكن رؤية سحنة الجناح اليساري في مؤتمر النقل حيث عارض فيمان (Fiminen) مخطط ديفس (Dawes) في حين وافق عليه الخطباء الآخرون.

لقد طبع كذلك مؤتمر النقابات الانكليزية في هول بهيمنة الاتجاهات اليسارية في أُممية أمستردام ويصعب الحديث عن برنامج لأن ثلاثة أرباع قرارات هذا المؤتمر شبيهة بقرارات المؤتمرات الأخرى فقد تبنى هذا المؤتمر سياسة الحزب العمالي تاركا جانبا تحالف ماكدونالد Macdonald مع البورجوازية ولم يُثار مسألة مخطط ديفس وتبعاً لذلك فقد وافق عليه وحيى ماكدونالد على سياسته السلمية وقبل برنامجا

يتضمن مطالب عملية لكنه أكد أنه سيحاول تحقيقها «بوسائل قانونية» فقط... الخ.

والجديد في هذا المؤتمر هو الحماس الذي أعرب به عن صداقته تجاه النقابات الروسية وكونه قبل هذه اللائحة، رغم عدم وضوحها بما فيه الكفاية، حول ضرورة إعادة بناء الوحدة، ، لقد قطع خطوة الى الأمام نحو إعادة التنظيم والتركيز المحتمل للنقابات لقد عكست أحداث هول (Hull) الاتجاهات اليسارية الجماهير البروليتارية الانكليزية العريضة ومع ذلك سنكون محرجين عند محاولة رسم برنامج الجناح اليساري، ففيمان وكل الذين أمضوا معنا الاتفاقية في ندوة النقل لهم منهجية محددة بدقة فهم يساندون الجبهة الموحدة مع الشيوعيين ويعرفون لماذا يطالبون بها وليس للجناح اليساري بأجمعه هذا الفهم الواضح فلنا في كل بلد وفي كل صناعة عناصر تنتمي الى أمستردام وتنتسب الى الجناح اليساري.

إن هذا الجناح اليساري لا يحاول حتى معارضة الجناح اليميني بأرضية سياسية مخالفة. لكن الذين يشكون في وجود هذا الجناح اليساري يخطئون. فالأمر لا يتعلق البتة بجناح يسار الحركة العمالية العالمية الذي تمثله الأمية النقابية الحمراء والأمية الشيوعية وإنما يتعلق بجناح يسار أممية أمستردام، الذي يمر بكل أزمات هذه المنظمة ويتخلص بطيئا من الايديولوجيا الاصلاحية.

إن المسألة الرئيسية المطروحة في جدول الأعمال هي التالية : ما هو موقفنا تجاه هذا الجناح اليساري، السيء التحديد والمتردد والذي لا يملك برنامجا خاصا؟ ونكون قد ارتكبنا خطأ فاحدا لو انتظرنا كثيرا من هذا الجناح اليساري، ولكن الخطأ لا يكون أقل لو استخففنا بهذه الحركة.

نحن لنا هدف ملموس : كسب النقابات، ومن النقابات نصل الى الجماهير كيف يتم الظفر بهذه النقابات؟ المسير بطيء وصعب. قسم نكسبه تماما، وقسم من العمال يوجد على مسافة متعادلة بين أمستردام وموسكو ولكنه ما يزال بعد تحت نفوذ الايديولوجيا الاصلاحية ويبحث في نفس الوقت عن مسالك جديدة. والجناح اليساري يعكس هذا التنقل في الآراء وسط الجماهير، الذي يحصل ببطء وبفعل العوامل الموضوعية، ينبغي دراسة الجناح اليساري ونقاط ضعفه. وعلينا مساندته في كل ما يقوم به ليتحرر من الحالة الذهنية القديمة، كما علينا نقد كل

سلبياته : التردد، عدم الوضوح في برنامجه، خوفه من مواجهة الجناح اليميني. وطالما يكون الجناح اليساري في صراع مع نظرية أممية أمستردام وممارستها فنحن نسانده بشكل جازم. وطالما ينجر وراء الجناح اليميني، فهو يتعرض الى نقدنا دون رحمة. فمساندة الجناح اليساري وبنقده، وبشرحنا للجماهير ضرورة خط ثوري متماسك نعرف كيف نجر اليها الجماهير التي تتبع الجناح اليساري وسياسته.

كل هذا يحدد علائقنا مع الحركة النقابية الانقليزية.

فالحركة النقابية الانقليزية تحوي التجمعات الثلاثة الآتية : أنصار الأممية النقابية الحمراء، مجموعين في الأقلية، وخصوم الأممية النقابية الحمراء في الجناح اليميني، وفي الوسط الذي سير مؤتمر هول ووقف موقفا وديا تجاه النقابات الروسية، لكنه معاد للأممية النقابية الحمراء فعلينا بذل ما في وسعنا لمساندة الوسط ضد اليمين، دون نسيان ضعف تصريحاته ومقترحاته وترددها وطابعها الاصلاحى الكامل.

## الأقليات الثورية في أممية أمستردام

لقد خلق شعارنا من أجل وحدة الحركة النقابية في صلب النقابات الاصلاحية وتبعنا لذلك في صلب أممية أمستردام أقليات ثورية، وهذه الأقليات منظمة تنظيميا مختلفا في بلدان عديدة، ففي ألمانيا تتجمع المعارضة حول المجموعات الشيوعية، وفي نهاية 1923 وفي ندوة ويمار Weimar وقعت محاولة لبعث كتلة المعارضة في صلب جامعة النقابات الألمانية ويقع كل العمل في ألمانيا في المجموعات التي تتبعها جماهير واسعة متعاطفة مع الشيوعية فالصراع بين الشيوعيين والاشتراكيين الديمقراطيين يوجد هنا في صلب النقابات.

وفي النمسا شكل العمال الثوريون الذين يتبنون أرضية الأممية النقابية الحمراء «كتلة المعارضة».

وفي إسبانيا شكل الشيوعيون والنقابيون أنصار الأممية النقابية الحمراء المتواجدون في س.ج.ت. (C.G.T.) الاصلاحية والفوضوية النقابية لجنة النقابيين الثوريين ويناضلون من أجل وحدة الحركة النقابية الاسبانية.

وفي أمريكا تتجمع الأقلية الثورية حول رابطة التربية النقابية التي تخوض صراعا حادًا ضد التكتل الرجعي الذي بعثه قوميرس (Gompers).

وفي انجلترا تجمعت كل العناصر الثورية في ندوة أوت 1924 في حركة قومية أقلية وتتميز هذه الحركة الأقلية عن حركة الجناح اليساري وللحركة الأقلية أرضية واضحة وهي متفقة مع الأمية النقابية الحمراء اتفاقا تاما.

فلا يوجد بلد لا يوجد فيه ثوريون داخل النقابات الاصلاحية مجمعون حسب تطور الصراع على المستوى المحلي والوطني. يلاحظ إذن أن الأمية النقابية الحمراء والأمية الشيوعية ليستا ضد التقسيم وضد تقويض النقابات قولا فحسب بل وفعلا أيضا فلو كان الشيوعيون يتبنون التقسيم لعبروا عن ذلك صراحة فنحن نكفّ شعاراتنا لجمهور ملايين الناس ولو كنا نريد التقسيم لما كنا نظمنا الأقليات ولما ناضلنا بلا هوادة ضد الاقصاءات وكان بإمكاننا فتح دكان فصياح الاصلاحيين ما كان ليخيفنا.

لكن الأمية الشيوعية والأمية النقابية الحمراء تناضلان ضد الاقصاءات وتناديان بتنظيم الأنصار حيثما وجدوا : وعلى هذا الأساس فإن الأمية الشيوعية والأمية النقابية الحمراء تجمعان ملايين العمال المرتبطين تنظيميا بالأمية الاصلاحية ويمكن في كل بلد ورغم صعوبة ذلك تقدير تأثير هذه الأقليات وقيمة أنصارنا.

إن الأقليات الثورية ليست منظمات ذات حدود محددة إنها اتحاد أناس يفكرون بنفس الطريقة ويصعب تقديم صورة بالأرقام دقيقة عن قوانا لكن يمكن تقدير تأثيرها حسب جملة من التظاهرات (ندوات، مؤتمرات، انتخابات، مجالس العمال، اضرابات ... الخ).

ولو تأملنا الأقليات من وجهة النظر هذه لأمكننا القول إننا نجمع في صلب أممية أمستردام أكثر من ثلث أعضائها فالنزعة الهادفة الى تطوير الحركة النقابية الأممية هي لتقوية تأثيرنا وهو ما يحزن البيروقراطية النقابية لكافة بلدان العالم وكل ذلك يجعل البيروقراطيات النقابية تمارس تعسفا ضد الشيوعيين (اقصاءات فردية وجماعية) ويجعل العداء للأممية الشيوعية والأمية النقابية الحمراء ينمو، فالأممية النقابية الحمراء موجودة في صلب أممية أمستردام بأقلياتها المنظمة وطينا في حين

ليس لأهمية أمستردام أنصار في صلب الأهمية النقابية الحمراء وهو بالذات ما يمثل قوتها وضعف أهمية أمستردام.

## أهمية أمستردام والجبهة الموحدة

كل ما سبق يجعلنا نفهم موقف أهمية أمستردام والمنظمات الاصلاحية من الجبهة الموحدة؟ فما هو أصل فكرة الجبهة الموحدة؟ وما هو الموقف الذي اتخذته جناح الحركة العمالية الاصلاحية منها؟

لقد تزامنت فكرة الجبهة الموحدة مع اتضاح جَزَرِ المحوجة الثورية سنة 1921، ويجب القول صراحة إننا نحن الشيوعيين الروس أيضا قد بالغنا في تقدير سرعة تطور الثورة العالمية أثناء الفترات الأولى التي عقيت ثورة نوفمبر فكان يبدو لنا أن ثورتنا ستتبعها مباشرة ثورة في كل البلدان الأخرى وكانت المسألة مسألة بعض أسابيع أو بعض أشهر، فانتظار مخرج سريع وتدافع نشيط للأحداث كان قد طبع تكتيكنا بطابع خاص، إن تكتيك حزب ثوري لا تحدده مبادئ مجردة بل يتوقف على الوضعية الحقيقية وميزان القوى القائم، فلاختيار خط سلوك مباشر ولتحديد خطة عمل استراتيجية يجب أن نأخذ بعين الاعتبار قوى مقاومة عدونا، وقوى منظمنا المرضية تقريبا، والحالة الاجتماعية لجمال العمل التي هي بالنظر الى ذلك، تعد شاسعة لأنها تسمح العالم كله، حينئذ نستطيع أن نختار خط سلوك فاذا دارت الأحداث بسرعة يتخذ الخط شكلا واحدا ويتغير اذا مرت الأحداث ببطء إلا أن الهدف النهائي يبقى هو نفسه.

فما هي السمة المميزة للسنتين الأوليين اللتين عقيتا نوفمبر 1917؟ لتذكر سير الأحداث في ألمانيا ومعارك الشارع التي وقعت حتى قبل تشكل حزب شيوعي ألماني قوي. لقد تميزت هذه المرحلة الأولى بهومات مباشرة، هجومات وقع التصدي لها، أما الفترة اللاحقة.. فقد شهدت تجمع القوى؛ أحسّت الجماهير العمالية ببعض الارهاق وبدأت البورجوازية تبادر بالهجوم وبافتكاك مكاسب الطبقة الشغيلة الأساسية لذا توجب على الأهمية الشيوعية أن تجد التكتيك الصالح لتجميع الطبقة العاملة لمواجهة الرأسمال العدواني وإيقاف هذا الهجوم حتى تمر فيما بعد الى الهجوم العمالي. لقد كانت وضعية الحركة العمالية العالمية في سنة 1921 أكثر تعقيدا مما كانت عليه في سنة 1919 غداة الحرب، لقد هدأت



التحركات العفوية وبدت الموجات المتدفقة من الثورة التي كانت قد أرعبت كثيرا البورجوازية عاجزة عن تحطيم الرأسمال الهائل وبدأت مرحلة جديدة لذا يجب أن نخضع لها تكتيكينا، إنه تكتيك الجبهة الموحدة الهادف الى تكتيل صفوف الجماهير في ظل ظروف جديدة حتى تُجَرَّ تدريجيا في طريق النضال الثوري ضد النظام الرأسمالي. ففيم يكمن المعنى العميق للجبهة الموحدة؟ نستطيع أن نُعرفه على النحو التالي : يتوجه الشيوعيون الى العمال غير المتحيزين وإلى الاصلاحيين وإلى الاتحادات العمالية الكاثوليكية وبايجاز إلى العمال بدون تمييز ويقولون لهم : «نحن لا نتفق معكم على مسائل أساسية فنحن ننادي بالثورة وأنتم تنادون بالوفاق الطبقي... الخ. ولكننا نتفق على المطالبة بيوم عمل بـ 8 ساعات وبتعديل الأجور تماشيا مع غلاء المعيشة وعلى الإبقاء على المكاسب الاجتماعية التي تحققت بعد ونقترح عليكم النضال المشترك لتحقيق برنامجكم وعلى قاعدة مطالبكم لتكوين جبهة موحدة، وبرنامجنا لا يتضمن مطالب اقتصادية ومطالب للنضال ضد خطر الحرب فحسب برنامجنا يتسع لأكثر من ذلك بكثير فنقطته الرئيسية هي الاطاحة بالرأسمالية وأنتم لا توافقون على ذلك فلنبعد المسائل التي تفرق بيننا ولنبق على المسائل التي توحدنا حتى نستطيع فوق هذا الميدان خوض نضال لا هواده فيه جنبا الى جنب» تلك هي دوافع الجبهة الموحدة وطابعها ومعناها.

سؤال أول يطرح نفسه : هل يصلح مثل هذا التكتيك لحزب شيوعي ثوري ولنقابات ثورية؟ وهل نستطيع لأشياء جبهة موحدة أن نبعد كل المسائل التي تفرق بيننا وبين الاصلاحيين؟ وهل نستطيع أن نقبل مثل هذه المناورة الاستراتيجية؟ قبل كل شيء ليست الجبهة الموحدة ممكنة إلا اذا كانت جبهة عمالية وهذا هو بالتدقيق ما يميزنا بشكل جذري عن الاصلاحيين الذين ينادون بجبهة موحدة بين العمال وأرباب العمل، اذن أول شيء يميز جبهتنا الموحدة هو طابعها العمالي الصرف بغض النظر عن القناعات السياسية للعمال المنعزلين أو لهذه المجموعة أو تلك، ثم تهدف الجبهة الموحدة الى النضال ضد البورجوازية فالجبهة الموحدة موجهة أساسا ضد طبقة أعدائنا، يضاف الى ذلك أيضا أن فكرة الجبهة الموحدة نفسها تصطدم بعنف بنظرية الاصلاحية وممارستها لأن الاصلاحية تنادي بالوفاق الطبقي.

تلك هي حدود الجبهة الموحدة بالنسبة إلينا نحن الشيوعيين ولا نستطيع أن نتجاوزها لأنها، على الأصح يجب أن تكون عمالية صرفا ويجب أن تناضل ولا

تتعاون [مع البرجوازية]، وقد كانت المنظمات الاصلاحية تناهض دوما الجبهة الموحدة. ذلك هو موقفها على الدوام.

إنهم يرون في الجبهة الموحدة الكلمة الأخيرة للماكيفلية البلشفية، مناورة جديدة من موسكو، فكلمة «موسكو» تستخدم عندهم لتعني الأممية النقاوية الحمراء والكومنترن والسوفييات وكل ما يمس من قريب أو بعيد الثورة الروسية.

هكذا فهم الاصلاحيون مقترحنا للجبهة الموحدة، ومعاداتهم لها أمر طبيعي : فالجبهة الموحدة تفترض الصراع الطبقي وقطع التحالف مع البرجوازية والحال أن الاصلاحيين هم المدافعون الأشد تحمسا عن هذا التحالف.

وبقدر ما تقام الجبهة الموحدة مع الشيوعيين تدريجيا (والاصلاحيون يفهمون ذلك جيدا) سَتُسْتَبْعَدُ إمكانية وحدة الجبهة مع البرجوازية ولن تكون هناك صيغة تأليف ممكنة، ولن تكون هناك تعلقا وكذلك شنت أممية أمستردام حربا ضد فكرة الجبهة الموحدة محاولة بكل الوسائل أن تُشهر بها وتمنع تطبيقها. لقد اتخذت الأممية الثالثة والجامعة النقاوية العالمية بأمستردام أكثر من مرة موقفا من الجبهة الموحدة ونحن نذكر تشاور مندوبي الأمميات الثلاث في برلين : الكومنترن والأممية II والأممية 2/1 II سَتُصَمِّعُ الى نقاشات مناهضة للبلشفية من ناحية وللاصلاحية من ناحية أخرى عوض الحديث عن جبهة موحدة، لقد كانت هذه الندوة وسيلة جَسَّتْ من خلال كل واحدة من الأمميات الثلاث نبض الأخرى فلم تستطع أن تعطي نتيجة ايجابية، زيادة على ذلك لم يستطع هذا الفشل أن يوقف الأممية النقاوية الحمراء والكومنترن عن جهودهما التوحيدية، فكلما برز في صلب الحركة العمالية العالمية أو في السياسة العالمية حدث هام كنا نقترح عملا مشتركا فتجيبنا جماعة. أمستردام باختصار «لن توقعنا موسكو في استفزازاتها».

## أممية الثثرة والجمود

لم يكن لأممية أمستردام قط نشاط خاص بها ولكنها فقدت حاليا كل قدرة على العمل فثلث أنصارها هم أنصار الأممية النقاوية الحمراء والثلثان المتبقيان ينقسمان الى مجموعتين متساويتين بين أنصار الجناح اليساري وأنصار جناح أممية أمستردام اليميني وتوجد القيادة بين أيدي الجناح اليميني ولم تعبر قط عن رغبتها في العمل.

ان النظرية والممارسة الاصلاحيتين تتمثلان في كون كل منظمة وطنية هي مستقلة وعلى الأهمية ألا تتدخل في حياتها الداخلية، وهذه الاستقلالية للاجزاء المكونة لها حوّلتها الى مجموعة منظمات قومية تأتي المصالح الأهمية بالنسبة إليها في مرتبة ثانية، كل ذلك يجعل من اتحاد أمستردام أهمية شكلية فقط ليست لها إمكانات عمل وصراع الأفكار الداخلي جعل الأهمية لا تثمر إلا مقررات بدون قيمة فهي ليست أهمية عمل وهي ليست أهمية تنظم تظاهرات البروليتاريا، إنها أهمية السلبية، تلعب في أفضل الحالات دور الوسيط لتبادل المعلومات إنها منظمة تحرر دوريا مقررات.

لقد اقتصر نشاط أهمية أمستردام على محاربة الشيوعية وعلى مساندتها لجمعية الأمم وأقصى ما تتميز به هو نضالها المناهض للشيوعية الذي جعلت منه هدف وجودها وتعتبر بورجوازية العالم بأجمعه أن أهمية أمستردام سندها ضد الخطر الشيوعي وحليفها في النضال ضد الثورة.

وفي هذا الصدد مما يوجب العبرة أن يعتبر البوليس في رومانيا ويوغسلافيا انضمام النقابات العمالية الى أهمية أمستردام عنوان حب للوطن.

إن الجامعة الأهمية للنقابات يمكن أن يطلق عليها اسم الشركة الأهمية للاعلام المتبادل أو الجمعية الأهمية لتخريب الثورة أو جمعية التأمين المتبادل ضد الشيوعية.. الخ ولا يمكن تسمية أهمية أمستردام أهمية عمالية لأن الاصلاحية ما دامت مرتبطة بالبورجوازية لا يمكنها أن تنشئ أهمية.

## أهمية أمستردام والثورة الروسية

يفهم حينئذ أن الطبقة العاملة، حسب أهمية أمستردام، ستخسر كل شيء في ثورتها، وجماعة أمستردام تبذل كل ما في وسعها لتجنب هذه وتنتظر بعين الريبة الى الثورات التي انجرت بعد. ذلك هو حقا موقف أهمية أمستردام من الثورة الروسية خاصة بداية من الفترة التي اتخذت فيها هذه الثورة الطابع البلشفي إلا أن بعض العناصر التي انضمت إلى أهمية أمستردام منذ ذلك الوقت كانت قد استقبلت ثورة فيفري بحماس كبير. وما إن اكتست الثورة الروسية توجهها بلشفيا حتى تبنى الاصلاحيون موقفا شديدا للعداء من الشيوعية وكل ما يمس الثورة الروسية ولنلاحظ هنا بعض السمات المثيرة للانتباه لفقادة أمستردام هم خصوم دكتاتورية البروليتاريا

ويفضلون عليها الدكتاتورية البورجوازية ولكن كلما كانت الثورة الروسية تتجاوز أزمة كانت أممية أمستردام تحاول أن تدافع عنها وهناك تناقض برز بجلاء واضح بعد سحق الثورة المجرية وأثناء الهجمة البولونية على روسيا السوفياتات وكانت أممية أمستردام وفروعها قد هاجمت بخساسة الثورة المجرية واعتبرتها المحاولة الأولى لتطبيق «الطرق البربرية للاسيويين البلاشفة» في أوروبا الوسطى، لكن لما انتصرت رجعية اللورتي (Ilorty) تولت أمستردام الدفاع عن العمال المجرين والنقابات المنحلة وقد كان من المنطقي أكثر شدة أزر العمال المجرين عندما كانوا في السلطة.

فلماذا لم تتدخل أممية أمستردام إلا بعد انتصار البيض؟ لأنها كانت تريد أن تبين لنقابيين أنها تناضل ضد الرجعية وأنها تحمي العمال، فجماعة أمستردام تظاهرت بأنها تريد أن تقول : «ان العمال المجرين كانوا مخطئين لكن يجب أن نحميم» وهكذا فمبادرة أممية أمستردام لحماية بروليتاري هذا البلد أو ذاك تفسر دوما بدفع من القاعدة وبالرغبة التي لدى أممية أمستردام في إبقاء الجماهير تحت نفوذها.

وفيما يخص روسيا السوفياتات كثيرا ما يهاجم القادة الاصلاحيون بعنف حاد البلشفية الروسية والكمونترن.. الخ فلماذا أحست إذن جماعة أمستردام، أثناء الهجمة البولونية فجأة أن روسيا السوفياتية (Soviétiste) هي بلد الثورة الطافرة؟

أخذ أشد الاصلاحيين تعنتا ينادون بضرورة انقاذ الثورة في الوقت الذي يؤكدون أن القيصرية والبلشفية تتساويان فإنقاذ ماذا عندما لم تعد هناك ثورة، عندما تكون ميتة؟ هذا التناقض تجدونه في كل الاصلاحية العالمية. وهذه النظرية تعكس نفاق الاصلاحيين السياسي لأن سلوكهم بعيد عن أن يوافق ما ينادون به، وبما أن القيصرية والبلشفية تتساويان شيئا واحدا فلنطُح بالبلشفية! فهذا هو الذي من المفروض أن يكون منطقيا. إلا أن نداء من هذا النوع يستحيل لأن العمال الذين ينضمون الى المنظمات الاصلاحية يتعاطفون بشكل غريزي مع روسيا. ومن هنا تأتي المحاولات لمساعدة روسيا السوفياتات ومقاطعة بولونيا، والمساعدة الجزئية أثناء المجاعة رغم العداء الذي تكنه لثورتنا.

تتخط الحركة العمالية الاصلاحية بأجمعها في هذه التناقضات التي اتخذت

شكلا بالغ الحدة أثناء مؤتمر همبرغ (الأممية II و 1/ II) وكان المنشفي أبرمو فيتش (Abramovitch) هو مقرر المسألة الروسية : فهو دوما حاضر في الخارج كلما تعلق الأمر بتمثيل البروليتارية الروسية». وقدم مقرا بدا غير مقبول حتى لدى غلاة الاصلاحيين مثل نواب الحزب العمالي الانكليزي، ودام النقاش طويلا وذرف أبرموفيتش دموعا حارة طالبا العزاء من أصدقائه الاصلاحيين الأجانب بشأن كل آلام المنشفية الروسية إلا أن أصدقاءه كان لهم من المكر ما جعلهم يهاجمون ليس البلاشفة فحسب بل ابرموفيتش نفسه، ومع ذلك فقد كان مؤتمرا اصلاحيا كما يجب لأن البلشفي بالنسبة الى عامل أوروبا الغربية هو الثوري الذي أطاح بالبورجوازية.

لا يستطيع عامل أوروبا الغربية أن يفهم كيف يكون روسي معاديا للثورة الروسية والاصلاحي لا يستطيع أن يفهم كيف يتحرك المرء ضد وطنه «سواء أكانت الحكومة حسنة أم سيئة فإنها حكومة بلدي وعليّ أن أدافع عنها» واعتمادا على هذه الاعتبارات الوطنية فإن العامل الغربي يتعجب من أن يرى المناشفة والاشتراكيين الثوريين الروس يقاومون روسيا الى جانب فرنسا فالاصلاحيون الأنكليز والفرنسيون والألمان يستطيعون أن يقيموا كتلة مع الرجعيين في بلدانهم الخاصة لكن كيف يتحالف المرء مع أعداء وطنه؟ إنه لأمر لا يتمكن العامل الاصلاحى والوطنى من فهمه؟

اعتبارا لكل ما تقدم يفهم المرء لماذا تصطدم خطب المناشفة بنفور عام فمقرر إيرموفيتش عدل عديد المرات لكن أغلب النواب وفي مقدمتهم الانكليز صوتوا ضده. وهكذا فقد كان موقف أمستردام من الثورة الروسية دوما غامضا فعندما تكون الثورة الروسية في خطر كانت أممية أمستردام تجد لنداءاتها صيغا قريبة من الثورة، وكان الاصلاحيون يقولون حينئذ إن سقوط الثورة الروسية قد يؤدي الى انتصار الرجعية ليس على الأرض الروسية فحسب بل في العالم أجمع. وهذه الفكرة ترسخت بقوة في وعي العمال الأوروبيين والأمريكيين الى حد أن أكثر القادة رجعية عاجزون عن خنق الحدس الطبقي للجماهير العمالية، ومن هنا كانت هذه المراوحتات وهذه التعرجات في سلوك أممية أمستردام تجاه روسيا السوفيئات : اعتداءات عليها عندما تكون في منأى من الخطر، ومساعدة اضطرارية عندما يوجد هذا الخطر. وهكذا تقطع خطوتان الى الأمام وثلاث الى الوراء، وكل هذه

الآراء المتضاربة تتأق من التركيبية المتناقضة لأمية أمستردام ومن التعاطف غير المنظم الذي اكتسبناه بين الجماهير ومن الكراهية المنظمة التي يكنها القادة لنا.

## أممات الصّناعة

قد تكون خاصة جناح الحركة النقابية العالمية اليميني غير مكتملة بدون دراسة أممات الصناعة المرتبطة معنويا بأمية أمستردام والتي بلغ عدد 29، لقد ظهرت كلها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وهي تجمع بغية النضال المشترك حسب خط عمودي عمال المهنة الواحدة والصناعة الواحدة بأجمعهم.

تلك هي الفكرة التي اتخذت قاعدة لهذه الأممات وفي الواقع فقد عرفت وجودا سياسيا جد باهت أثناء حياة طويلة نسبيا، لقد كانت، خاصة أجهزة لتبادل الاعلام وكانت تؤدي برداءة حتى هذه المهام المتواضعة، وفي بداية الحرب وبعد إفلاس الأممات الاشتراكية والنقابية كفت أممات الصناعة عن أن تكون «أممات» فقد توزعت الى اجزاء، جزء في ألمانيا وجزء في أنكلترا وجزء في البلدان الأخرى، وكانت تتجه حسب مقراتها نحو هذا الحلف العسكري أو ذاك. وفعلا فقد اندثرت أممات الصناعة أثناء الحرب لكي تبعث بعدها في نفس الوقت الذي تشكلت فيه أممية أمستردام وفي الجملة وبعد الحرب تعدّ أممات الصناعة ما يقارب 20 مليون عضو وهو ما يوافق العدد الجملي للجامعة النقابية الأممية بأمستردام التي تُجمع نفس العمال أفقيا (مركزيات نقابية وطنية) وأكبر أممية للصناعة هي أممية المعادن (ما يقارب 3 ملايين عضو) ثم أممية خبايا الأرض (مليونان ونصف) وأممية عمال المصانع (2.300.000) والنقل (2.300.000) وأممات عملة الفلاحة والنسيج التي تعدّ كلّ واحدة منهما 1.500.000، وبأقل من مليون عضو : الخشب والموظفون والبناء. تلك هي أهم التجمعات الأممية. ولكن نجد من ناحية أخرى أممات لا تستطيع إلّا بشيء من المبالغة أن تحمل هذا الاسم مثل أممية الحلاقين التي تعد 12.000 عضو، وعملة الجلود : 13.000 وعملة الخرف : 13.000... الخ. وهناك أممات عديدة حسب الصناعات : فللدهانين أمميتهم ولعملة البناء أيضا... الخ وعملة المصابيح الحجرية والعصرية والمسرفون لهم أيضا منظمات مستقلة. وفي كلمة، ونحن نتفحص بدقة هذه الأممات، نرى منظمات لا توجد إلّا باسمائها مع منخرطها المتراوح عددهم بين 12 و15 ألف

عضو، ولكي نبين إلى أي حد تشنت الحركة النقابية الراهنة يكفي أن نذكر مثال الجامعة الأمريكية للشغل التي تضم أكثر من 100 منظمة، والكنفدرالية العامة للشغل بألمانيا بجامعاتها الصناعية الأربع والخمسين وجامعات فرنسا الثلاثين والجامعات الانقليزية التي تجاوز عددها المائة رغم حركة الدّمج النقابي التي هي الآن بصدد ضم النقابات المتجانسة في جامعات موحدة. أما في روسيا فلا توجد إلا 22 جامعة للصناعة إلا أن هذه الأمميات ليست مفتتة فحسب فالتفتت ليس إلا مصيبة خفيفة فبعض الأمميات (المعادن، خبايا الأرض، العملة غير المختصين، النقل) ذهبت الى حد لعب دور هام في الصراع الطبقي (ففي زاوية (صحفية) خاصة بعملة المصانع وجد عمال الصناعة الكيماوية مكانا لهم والحال أنهم ينتمون في العديد من البلدان الى جامعة العملة غير المختصين أو جامعة «عمال المصانع») لكن هذه الجامعات بقيت أثناء السنوات الأخيرة سلبية حتى في قطاعاتها التي تمثلها وفي مواقفها من السياسة العالمية والنزاعات الكبرى وطينا. وبعض الأمثلة تسمح لنا بالحكم على تكتيك أمميات الصناعة ومقارنته بتكتيك النقابات الثورية. نتذكر جميعا الاضراب الكبير الذي دام 13 أسبوعا والذي شنه عمال المناجم الانقليز في بداية 1921 وقد شمل هذا الاضراب أكثر من مليون منجمي انقليزي واستفادت منه كثيرا جموع الحركة العمالية الانقليزية وخاصة حركة المنجمين وأول سمة مميزة لهذا الاضراب كانت عزله داخل البلاد فقد تفكك الحلف الثلاثي المكون من المنجمين وعمال النقل والسكك الحديدية أثناء هذا الاضراب اذ لم يساند لا عمال النقل ولا السكك الحديدية المنجمين الذين وجدوا أنفسهم في عزلة وطينا وعالميا، فلم تحاول أية منظمة منجمية بأي شكل من الأشكال أن تساند مطالب الرفاق الانقليز ومن ناحية أخرى فان مستغلي المناجم الانقليز استطاعوا أن يهزموا المضربين بفضل الفحم الألماني والأمريكي والبلجيكي وهكذا فأعضاء من نفس المنظمة الواحدة وفروا للصناعيين الانقليز الوسيلة للحاق هزيمة نكراء بهذه الحركة الهائلة وصد المدّ القوي لجامعة المنجمين التي كانت حالتها الذهنية من أكثر الحالات ثورية.

لقد ثار المنجمون الأنقليز، وهم مهزومون، أثناء اضراب المنجمين الأمريكيين. ففي سنة 1922 أضرب 500.000 منجمي أمريكي فلم يفعل رفاقهم الانقليز أي شيء لمساعدتهم، فقد استعمل الفحم الذي يستخرجه المنجمون الانقليز

للاحاق هزيمة بالمنجمين الأمريكيين. إنها نفس العلاقات المتبادلة بين منجمي بلدان أوروبا بأجمعها. فلم يَحْرَكْ لا المنجمون الفرنسيون ولا البلجيكيون ولا الألمان أي ساكن أثناء إضراب المنجمين الانقليز لسبب بسيط هو أن المنجمين الانقليز لم يردوا الفعل هم أيضا عندما كان عمال البلدان الأوروبية الأخرى مضربين اذ تتميز أهمية المنجمين بالتكتيك الوطني لفروعها، فأمية تبقى متفرجة أثناء النضال تشاهد بلا مبالاة منجمين يخونهم رفاقهم في قطر آخر ليست أمية.

لقد اعتمدت أهمية المعادن تكتيكا ماثلا ان استطعنا أن نمسي ذلك تكتيكا، فأنشاء إغلاق مصانع المعادن في انقلترا لم يفعل أي فرع منضو تحت هذه الأهمية أي شيء لمساعدة عمال المعادن الانقليز، والأهمية الوحيدة التي أبدت رغبة في القيام بعمل ما على الساحة الدولية هي أمية النقل. لقد شرعت في مقاطعة اجر وفيما بعد بولونيا المتحاربة مع روسيا السوفيات فكانت النتائج هزيلة لكنها على الأقل محاولة لتصبح أمية حقيقية.

أما الأمميات الأخرى فلا تتميز بشيء عن أمية عمال المناجم والمعادن فهي أمميات سلبية بلا استثناء وتواصل في الخط العمودي سياسة أمستردام والموقف الذي اتخذته الأمميات من نضال البروليتاريا الألمانية ضد بورجوازية بلدها، بورجوازية الحلفاء ذو طابع بالغ التميز.

كل واحد يعرف وحتى أجهل الناس بالسياسة أن نظام التعويضات نقد وعين، وأن مخطط ديفس Dawes هو استبعاد للبروليتاريا الألمانية وأن تخفيض مستوى عيش العمال الألمان سيقود آليا الى تخفيض في مستوى عيش بروليتاريا البلدان الأخرى، وأبسط تفكير يجب أن يقود هذه الأمميات الى الدفاع عن البروليتاريا الألمانية، ومع ذلك فإنها تقف الى جانب أمية أمستردام وتساند نظام التعويضات ومخطط ديفس بإعداد الظروف الموضوعية لحذف يوم عمل بـ 8 ساعات ولتخفيض الأجور في أوروبا بأجمعها.

إن خاصية هذه الأمميات هي أنه كلما كثرت النزاعات في بلد من البلدان قلَّ الحديث عنها فالأمميات لا يكفيها أنها لا تخوض أي صراع بل لا تنظم تظاهرات أمية ولا حتى المساعدة المادية للبروليتاريا التي تناضل وثبتت كل النزاعات الاقتصادية الكبرى للسنوات الأخيرة في أنقلترا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة



والنرويج والسويد... الخ. ان أمميات الصناعة هذه تعرف حياة هادئة وسلمية. وقد قال كاوتسكي إن الأممية هي أداة سلم لا حرب ويعتبر قادة أمميات الصناعة أن منظماتهم هي أيضا أدوات سلم ويحتجبون أثناء احتداد النزاعات الاقتصادية.

فما هي علاقات أمميات الصناعة هذه بالجامعة النقابية الأممية بامستردام؟ إنها تعترف بتوجيهاتها السياسية دون أن تكون مرتبطة بها عضويا وتقول، نحن أمميات مهنية وأمستردام هي منظمة مجموع الطبقة العاملة التي تهتم بالمسائل المشتركة للبروليتاريا بأجمعها تلك هي طريقة الاصلاحيين في مؤتمر الصناعة الكيميائية. لقد أجابت أممية التغذية عن مقترح النقابة الروسية للتغذية المتمثل في الاحتجاج على التدخل في الصين بأن مثل هذه التظاهرات مثير للسخرية، ويوجد على رأس هذه الأممية شيفر ستاين (Shifferstein) نصير يساري للأممية أمستردام فنحن لا نفكر بهذه الطريقة اذ نعتقد أنه من المثير للسخرية ومن المؤسف الانغماس في مصالح ضيقة ومهنية وعدم رؤية أن استعباد الشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة يؤدي إلى عبودية نظام الاستغلال. وتحاول بعض الأمميات في بعض الأحيان أن تعد خطة عملية مشتركة بالنسبة الى المسائل الأكثر إلحاحا فقد كان لعمال المعادن وخبايا الأرض والنقل فكرة بعث أمر مشترك مثل التحالف المثلث للعمل الأممي وكانوا يقولون لأنفسهم : اذا اتفق عمال المناجم والمعادن والنقل فيما بينهم فإنهم سيقدرون على التأثير في الحركة العمالية بما فيه الكفاية، ولقد تشارروا عديد المرات وشكلوا لجنة لمعالجة هذه المسألة وتبنوا عدة مقررات تحتج على الحرب وانتهى الأمر عند ذلك الحد، وأثناء هذه الأشهر الأخيرة وخاصة بعد احتلال الرور تبين عجز هذه الأمميات الثلاث الكلي : فهي تشقها نفس التناقضات القومية شأنها شأن جامعة أمستردام.

وأثناء مؤتمر فيانا للأممية أمستردام وقعت محاولة لربط أممية أمستردام بالسكترتارية الأممية تنظيميا وكانت لأجنحة اليمين واليسار نفس الرغبة في إقامة هذه الوحدة التنظيمية، فكان الجناح اليساري يرغب في ممارسة تأثيره في سياسة أممية أمستردام وكان الجناح اليميني يريد اخضاع أمميات الصناعة الى القيادة العامة إلا أنه لم يحصل أي اتفاق في المؤتمر بين أممية أمستردام وسكتراريات (Secrétariats) نقابات الصناعة فقد اقترح فيمان (Fimmen) تنظيم أممية أمستردام على قاعدة السكتراريات الأممية فلم تقع المصادقة على المقترح، وفي مؤتمر فيانا تقرر أن تكون

للسكرتاريات الأمية 3 مقاعد في رئاسة المجلس الأعلى (Presidium) لأمية أمستردام وأن يكون للنواب حق التصويت في المسائل المتعلقة بوحدة الحركة المهنية لقد متنّ مؤتمر فيانا العلاقات بين السكرتاريات الأمية وأمية أمستردام يوضع السكرتاريات من وجهة نظر شكلية تحت رقابة مكتب أمية أمستردام. فالنضال من أجل الربط سببته مسألة سياسية هي علاقة أمميات الصناعة بالنقابات الثورية والنقابات الروسية خاصة.

لقد ذكرت بعد بأنه يوجد تيار في أمية أمستردام ينشد التحالف مع النقابات الروسية وكان أنصار التحالف يؤكدون أن كل أمية تستطيع أن تجد حلا للمسألة بصورة مستقلة. وكانت أمية أمستردام تحتج على وجهة النظر هذه وتعارض الجبهة الموحدة (ندوة النقل) وانضمام النقابة الروسية إلى أمية التغذية (مقرر مكتب أمية أمستردام في نوفمبر 1923).

إن أمية التغذية هي الأمية الوحيدة التي قبلت النقابة الروسية أما البقية فلم تفعل أي شيء ما عدا المقررات الجوفاء. لقد تناولت المؤتمرات الأمية للمعادن والنسيج التي انعقدت بعد مؤتمر فيانا هذه المسألة من جديد ورغم الانتصار الذي حققته السكرتاريات الأمية حسب رأي اليسار فإنها خضعت عمليا للخط العام لأمية أمستردام وطبقت توجيهات الجناح اليميني لهذه الأمية، فالمقرز الذي وافق عليه اليسار يقول إن النقابات الثورية أو الروسية تُقبل ويقع إعلام أمية أمستردام فقط. فالوحدة في الاتجاه العمودي لم تتحقق رغم رغبة كل النقابات الثورية في الانضمام الى أمميات الصناعة وقد اعترضت أمية أمستردام على هذه الوحدة بكل قوة.

ومن الطبيعي أن يثير جمود أمستردام وأميات الصناعة بين الجماهير نزعة نحو تشكيل منظمة عوض أن تكون بديلا عن أمية تكون أمية مناضلة.

## الفهرست

### المحاضرة الأولى : الحركة النقابية أثناء الحرب وقبلها

- جغرافية الحركة النقابية
- التكتلات داخل الحركة النقابية
- التريدينونية
- الفوضوية النقابية
- الحركة النقابية الاشتراكية الديمقراطية
- النزعة الحيادية في الحركة النقابية
- الماركسية الثورية في الحركة النقابية
- بعث الأمميات النقابية
- الأمانة النقابية الدولية
- أمميات الصناعة
- تأثير الحرب في المنظمات النقابية
- الايديولوجية النقابية أثناء الحرب
- الانقسامات حسب التكتلات العسكرية والديبلوماسية
- بعث المنظمات النقابية الثورية

## المحاضرة الثانية : الحركة النقابية العالمية في نهاية الحرب

- مضاعفات انتصار الدول المتحالفة على الحركة النقابية العالمية
- تأثير الثورة الروسية في الحركة العمالية العالمية
- تجميع القوى
- النضال من أجل السلم
- نموذج حركة نقابية رابع
- المد الصاحب للحركة النقابية
- أسباب هذا النمو
- رواج الأوهام الإصلاحية
- الوفاق الطبقي في ألمانيا
- تكتيك الإصلاحيين في بلدان الوفاق
- إعلان «المبادئ الأبدية»
- ندوة واشنطن
- المكتب الدولي للشغل

## المحاضرة الثالثة : الجامعة النقابية الأممية (أممية أمستردام)

- المنظمات النقابية الأممية
- تكون أممية أمستردام
- المؤتمر الأول للأممية أمستردام
- مؤتمر لندن
- مؤتمر روما
- مؤتمر فيانا

## المحاضرة الرابعة : تكتيك أممية أمستردام

- القضايا الأساسية
- أممية أمستردام ومعاهدة فرساي

- التعويضات ومخطط ديفس
- نزع السلاح
- مسألة مقاومة الحرب
- الهجمة الرأسمالية
- «مقاومة» أممية أمستردام للفاشية.

## المحاضرة الخامسة : تكتيك أممية أمستردام

- نزاع الرور
- ندوة عمال النقل ببرلين
- جناح أممية أمستردام اليساري
- الأقليات الثورية في أممية أمستردام
- أممية أمستردام والجهة الموحدة
- أممية الثروة والجمود
- أممية أمستردام والثورة الروسية
- أمميات الصناعة

## من هو لوزوفسكي؟ (1878 — 1952)

ولد ألكسندر لوزوفسكي (وهو الاسم المستعار لسلمون أبرموفيتش دريدزو) (Salamon Abramovich Dridzo) يوم 16 مارس 1878 بدنيلفسكا (Danilovska) بمقاطعة أكتيرينسلاف (Ekaterinoslav) ومنذ سنة 1898 كانت له اتصالات بالحركة الاشتراكية الديمقراطية في بلده ثم بدأ يشارك فيها منذ سنة 1901 ومنذ ذلك التاريخ بدأ يعرف السجون والمعتقلات حتى تمكن من الفرار من سيبيريا في أوت 1908 الى جنيف ثم التحق بباريس، وقد كانت له نشاطات مكثفة داخل البلاد إلا أنه عرف بترده في بعض المواقف وخاصة موقفه من ثورة أكتوبر مما سبب له الطرد من الحزب الشيوعي البلشفي (انظر موقف لينين من لوزوفسكي المجلد 42، ص 32 — 34 الطبعة الروسية 1977) في 12 جانفي 1918 وبدون الدخول في التفاصيل والتأكيد عليها فإننا نشير الى أن لوزوفسكي بدأ يقترب من الحزب حتى انضم إليه من جديد وترأس في سنة 1920 المجلس الجهوي لنقابات موسكو وشرع في الأعمال التمهيدية لبعث الأهمية النقابية الحمراء التي أصبح أميناً عاماً لها وقد انتخب في سنة 1927 عضواً نائباً باللجنة المركزية في المؤتمر الخامس عشر الى أن أصبح في المؤتمر الثامن عشر المنعقد في سنة 1939 عضواً باللجنة المركزية.

# Mouyn

ISBN 9973 — 729 — 07 — 02

السعر : ديناران

72، نهج القيروان — 3000 صفاقس

الهاتف : 26.447 (04)

